THE SPY WHO LOVED ME

(جيمس بوند)..

الجاسوس الذي أحبني

Telegram:@mbooks90

إيان فليمنج

ترجمة: سامح الجباس

الإشراف العام:

زياد إبراهيم

المراسلات:
الدور الثانى شقة 3
71 ب حدائق الأهرام- البوابة الأولى
ميدان الرماية - الجيزة

Email:
baitelyasmin@gmail.com

TEl:
whatsapp: 00201110094625
00201003456046
Mobile : 00201016685583

اسم الكتاب:
الجاسوس الذي أحبني
(جيمس بوند)
ترجمة: سامح الجباس
الناشر : بيت الياسمين للنشر والتوزيع

رقم الإيداع:
2023/28012
الترقيم الدولى:
9789778172737
التدقيق اللغوي: حنان الألفي

حقوق الطبع محفوظة.
الطبعة الأولى لـ بيت الياسمين 2024.
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتجزئته في نطاق استعادة المعلومات، أونقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطى مسبق.

هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن توجهات الدار ولكنها رؤية الكاتب.

إيان فليمنج

الجاسوس الذي أحبني
(جيمس بوند)

نشرت للمرة الأولى في 1962

ترجمة: سامح الجباس

الجزء الأول: أنا

الفصل الأول

القطة الخائفة

كنت خائفة.

هاربة من إنجلترا، ومن طفولتي، والشتاء، وسلسلة من المشاكل الغرامية التافهة، وبعض قطع الأثاث، ومجموعة من الملابس القديمة، التي تكدست حولي، منذ بدأت العيش في لندن.

كنت هاربة من القذارة، والرائحة العفنة، والعجرفة، والعزلة، وعجزي عن السيطرة، رغم إنني من الناحية الأنثوية، لم أكن واحدة من القبيحات.

Telegram:@mbooks90

الحقيقة أن كلِ شيء كان يدفعني للهرب، ما عدا أني لم أفعل شيئاً يجعلني أخشى رجال الشرطة.

قمت برحلة طويلة. طفت خلالها حول نصف العالم تقريباً.

فمن لندن انتقلت إلى (نُزل الحالم) الذي يبعد خمسة عشر كيلومتراً إلى الغرب من بحيرة (جورج)، في الغابات التي تغطي الجزء الأكبر من شمال ولاية (نيويورك).

بدأت رحلتي في الأول من مايو، واليوم هو الجمعة، من الثالث عشر من أكتوبر.

عند رحيلي، كانت أشجار شارعي خضراء مثالية، كما يجب أن تكون الأشجار في اخضرارها، في شهر أغسطس، في (لندن).

أما هنا، في هذه الغابات الكثيفة، فاخضرار الأشجار يتفجر بحياة متدفقة مختلفة. وشعرت بالفارق نفسه بين ما كنت عليه قبل أن أغادر (كيبيك)، حيث الحياة الصحية، في الهواء الطلق، وليالي النوم الطويلة؛ لكي أختبر الحياة.. وبين ما أصبحت في ضباب (لندن) الرطب.

لقد رجعت إلى حياتي الصحية، وتخليت حتى عن أحمر الشفاه، وطلاء الأظافر.

وأخذت أشعر بسعادة ساذجة، عندما أتفحص نفسي في المرآة، وأجد أني لم أعد راغبة برسم ملامح غريبة، على ملامح وجهي الحقيقية.

كنت أهرب من الشخصية التي عشتها خمس سنوات.

ولم أكن راضية تماماً عن المرأة التي أصبحت، ولكنني كنت أكره تماماً شخصيتي الأخرى، وأحتقرها. وأشعر بالسرور؛ لأني لم أعد أراها في مرآتي.

أعلنت محطة إذاعة (دوكو) في ألباني، عاصمة ولاية (نيويورك)، التي تبعد خمسة وسبعين كيلومتراً تقريباً عن مكاني هنا، حلول الساعة السادسة مساء.

وتضمنت النشرة الجوية تحذيراً من عاصفة قادمة، ترافقها رياح باردة عنيفة.

إن العاصفة آتية من الشمال، وستصل إلى (ألباني) حوالي الساعة الثامنة مساء.

عليّ أن أتوقع ليلة صاخبة. ولكن هذا لا يُقلقني، فأنا لا أخشى العواصف.

يجب اجتياز خمسة عشر كيلومتراً على الأقل، في طريق وعرة قليلاً، من أجل الوصول إلى بحيرة

(جورج)، ومقابلة أي إنسان. إذن فأنا وحيدة. وهذا هو أهم شيء.

«تتحول العزلة في النهاية إلى عشيق، والوحدة خطيئة صغيرة»..

أين قرأت هذه العبارة؟ ومن كتبها؟

هذا تماماً ما أشعر به منذ طفولتي. إنني أتمتع بلذة الوحدة هذه الليلة.

اجتزت البهو الفسيح، وذهبت إلى الباب؛ لالقاء نظرة أخيرة للخارج. لقد قطعوا هكتارين من الأشجار؛ لبناء الثزل. والحق أن اختيار موقعه كان موفقاً. فهناك الطريق الثانوية، الممتدة من بحيرة (جورج) إلى (جلينز فولز)، وفي منتصف الطريق توجد بحيرة صغيرة، تدعى (بحيرة الأحلام)، يقصدها المتنزهون كثيراً.

وعلى الضفة الجنوبية لهذه البحيرة، بُني الثزل.

يُطل بهو الاستقبال على الطريق مباشرة، خلف المبنى الرئيسي، بينما بُنيت الغرف الأربعون على شكل نصف دائرة.

وقد أخبرني الزوجان (فانسي) الكريهان، عندما وافقا على تعييني كموظفة استقبال، بثلاثين دولاراً في الأسبوع، أن الإقبال ضعيف، وأن صاحب النُزل يخسر على الدوام.

أشكر الله أنهما رحلا.

ففى الساعة السادسة من صباح اليوم، عندما ابتعدا في سيارتهما باتجاه (جلينز فولز)، ومنها إلى (تروي)، أخذت أغني فرحاً.

لقد داعبني السيد (فانسي) مرة أخيرة، وأعترف أنني لم أرد بسرعة كافية. فقد مر بيده على جميع أنحاء جسدي، قبل أن أتمكن من طعن قدمه، بكعب حذائي الرفيع.

وبعد أن زالت تكشيرة الألم من على وجهه قال:

- يجب أن يسير كل شيء على ما يرام، حتى موعد حضور صاحب النُزل ظهر الغد، لاستلام المفاتيح. أتمنى لكِ أحلاماً جميلة الليلة.

وارتسمت على وجهه ابتسامة غامضة، لم أفهم معناها في تلك اللحظة.

ثم اتجه إلى السيارة حيث كانت زوجته تراقبه.

قالت لي بلهجة مداهنة:

- إلى اللقاء أيتها الحسناء. اكتبي لنا كل يوم.

وانطلقت السيارة بهما.

يا لهما من زوجين كريهين!

ظللت واقفة للحظات، أتأمل الطريق. ثم التفت نحو الشمال، لأتفحص الطقس. كان النهار جميلاً، والسماء صافية. ولكن كانت هناك بعض السحب السوداء، التي صبغت الشمس الغاربة أطرافها، بلون وردي، وكانت تتجمع على ارتفاع كبير.

وأخذ الظلام ينتشر.

في هذا المساء لن تُنشد الطيور ألحانها المعتادة، فقد شعرت باقتراب العاصفة، وعادت إلى أوكارها في الغابة.

أطلقت بومة نعيقها من مكان قريب، ثم صمتت.

وابتعدت عن الباب، ووقفت في منتصف الطريق، أتطلعّ إلى الشمال. وهبتّ نسمة قوية، أطارت شعري، ومزق بريق أبيض السماء عن الأفق، وبعد ثوان، هدر الرعد، بينما أخذت الريح تلعب برؤوس الأشجار. وفجأة بدأ المطر يسقط، فاستدرت، وأسرعت بالدخول.

صفقت الباب خلفي، وعلّقت سلسلته، وفي نفس اللحظة، انهمر المطر بغزارة، تصحبه ضجة تشبه هدير الطبول.

كنت ما زلت واقفة، أُصغي عندما سقطت الصاعقة، وأضاء البرق الغرفة، وفي نفس اللحظة، هزّ الرعد الثزل بصوت يشبه انفجار قنبلة، وتحطم زجاج إحدى النوافذ، وشعرت بالدم يجمد في عروقي.

وبقيت واقفة أسدّ أذنيّ بيديّ، وقد أصابني الذهول. وعاد الهدير يخرق الصمت، ولمع بريق فوق رأسي، وحدث انفجار هز أرجاء المبنى.

لم تعد ساقاي تقويان على حملي، فانهرت على أقرب مقعد إليّ، وأنا أُخفي وجهي بين يديّ.

كيف أمكنني أن أكون بهذا الجنون؟

لو جاء أحدهم يشرح لي أن هذا ليس سوى مجرد عاصفة، لشعرت بالاطمئنان. ولكنها ليست عاصفة. إنما كارثة. نهاية العالم.

وهي تستهدفني أنا!

وسوف يتكرر كل هذا بين لحظة وأخرى. يجب أن أفعل شيئاً. أن أطلب نجدة.

ولكن الزوجين (فانسى) دفعا فاتورة الهاتف، وقطعت الشركة الخط.

إذن لم يبقَ لديّ سوى أمل واحد.

نهضت وركضت نحو الباب، ومددت يدي إلى الزر الذي يضيء اللافتة المعلقة عند المدخل.

كانت هذه اللافتة تحمل عبارتين: (غرف شاغرة) و(جميع الغرف مشغولة).

وأضأت عبارة (غرف شاغرة).

هناك أمل بأن يأتي شخص للاحتماء من العاصفة.

وأخذ المطر يندفع إلى الداخل.

ولكن في اللحظة التي ضغطت فيها على الزر الكهربائي دخلت الصاعقة الغرفة.

وشعرت بيد عملاق تحملني، وتُلقي بي على الأرض.

الفصل الثاني
السنوات الماضية

عندما عدت إلى وعيي، أدركت تماماً أين أنا.

تجمدت على نفسي على الأرض، وأنا أتوقع أن أصاب بلطمة جديدة. وبقيت على هذا الوضع عشر دقائق تقريباً، أُصغي إلى صوت المطر، وأنا أتساءل: هل خلّفت الصاعقة آثاراً؟ وهل أصابتني بحروق؟ ربما تسببت في بياض شعري!

إلا إذا احترق بكامله!

وتحسست شعري فلم أجد شيئاً غير عادي، ما عدا تورم في مؤخرة رأسي. وقمت ببعض الحركات، تأكدت بعدها أنني لم أصب بأي كسر، أو جرح.

وفي أحد الأركان، عادت الثلاجة إلى العمل بطنينها المألوف المطمئن، وأدركت أن الحياة تتابع سيرها، وأن العاصفة ابتعدت.

ونهضت واقفة بصعوبة، وأدرت بصري حولي، وأنا أتوقع أن أجد أكواماً من الأنقاض، ولكن كل شيء كان في مكانه. وكان الزجاج المكسور، والماء المتجمع على الأرض، الدليلين الوحيدين على ما تعرضنا له، أنا والنزل.

وعدت أفكر بشعري. تُرى هل أصبح أبيض؟ وأسرعت إلى مكتب الاستقبال، فتناولت حقيبتي، وذهبت إلى خلف البار، أنظر إلى مجموعة المرايا المثبتة على الرفوف.

وكانت عيناي أول شيء فحصته. إنهما زرقاوان، صافيتان، وقد اتسعتا استغراباً، وكانت الأهداب والحاجبان مكانهما، وفوقهما شعري الكستنائي الداكن المنسدل على كتفي.

وشعرت بالاطمئنان، فأخرجت مشطي، ومشّطت شعري، ثم أعدته إلى حقيبتي.

كانت الساعة تقترب من السابعة، وفتحت الراديو، وبينما كان المذيع يروي

تفاصيل الأضرار التي سببتها العاصفة، قمت بتثبيت قطعة من الكرتون على الزجاج المكسور، وجففت الماء المتجمع على الأرض، وبعد ذلك، ذهبت إلى غرفتي، وهى تحمل الرقم 9، فخلعت ثيابي، وأخذت حماماً بارداً.

وأنساني ذلك ما فعلته العاصفة بي. فانطلقت أغني بسرور، وأنا أفكر في الليلة التي سأقضيها وحيدة، وبرحيلي في الغد.

ارتديت سروالاً من المخمل الأسود، ضيقاً بشكل فاضح، وقميصاً ذهبي اللون، دون أن أضع مشد الصدر.

وبعد أن تأملت نفسي بإعجاب في المرآة، عدت إلى بهو الاستقبال، وهناك صببت كأساً من الويسكي، وجلست بجوار الراديو، أدخن.

وأعلن المذيع تقديم أربعين دقيقة من الموسيقى.

وفجأة شعرت بنفسي أنتقل إلى نهر (التيمس) قبل خمس سنوات..

كنا في زورق يسير بهدوء على سطح النهر، وكان (ديريك) يتولى التجديف، بينما توليت أنا أمر الفونوغراف. لم تكن لدينا سوى عشر أسطوانات، بينها (زورق الأحلام) التي أخذ (ديريك) يرجوني أن أعيد تشغيلها.

وملأت الدموع عينيّ.

لم يكن ذلك بسبب (ديريك)، بل بسبب التعاسة التي يُعانيها جميع الفتيان والفتيات، خلال فترة غرامهم الأولى. كانت دموعاً عاطفية، تعبر عن الطفولة المفقودة، وذكرى آلام مررت بها.

مسحت عيني وقررت أن أستعيد ذكرياتي.

أنا أدعى (فيفيان ميشيل)، وأنا الآن في الثالثة والعشرين من عمري، وقد كنت أظن أن لديّ جسماً جميلاً، حتى اليوم الذي قالت فيه الفتيات الإنجليزيات لي إن ردفي بارز جداً وإن عليّ أن أستخدم مشدًا للصدر أضيق.

أنا كندية فرنسية، ولدت في إحدى ضواحي (كيبيك) التي تُسمى (سانت فامي)

وقد كبرت على ضفة نهر (سانت لوران) وبين مياهه، حتى أن تسليتي الكبرى كانت السباحة، وصيد السمك، وقضاء الوقت في خيمة في الهواء الطلق.

ليست عندي ذكريات كثيرة عن أبويّ فقد كنت في الثامنة من عمري، عندما قُتلا أثناء الحرب، في حادث طائرة. ووضعتني المحكمة تحت رعاية إحدى عماتي، التي جاءت وهي أرملة للعيش في منزلنا، حتى تتمكن من مراقبة تربيتي.

كنا متفاهمتين في معظم الأمور. كانت بروتستانية، بينما نشأت أنا كاثوليكية، ولم ألبث أن وقعت ضحية النزاع الطائفي الناشب في (كيبيك) وقد انتصر الكاثوليك في نهاية الأمر، فتلقيت دراستي في أحد الأديرة، حيث بقيت حتى سن الخامسة عشر.

كان نظام الراهبات قاسياً جداً. الأمر الذي أشعرني بالاختناق، ودفعني لمطالبة عمتي باخراجي من الدير.

وقررت عمتي التي سرها أن تنتزعني من السيطرة الكاثوليكية، أن تُرسلني إلى إنجلترا؛ لاستكمال تربيتي. وأثار ذلك ضجة في المدينة، فقد كان أبواي من الوسط المتمسك كثيراً بتقاليد كندا الفرنسية.

إن أبناء (كيبيك) وبناتها، يشكلون شبه جمعية سرية، ويدعو الأعضاء أنفسهم بفخر (كنديين)، ويأتي بعدهم في درجة أدنى بكثير، (البروتستانت الكنديون) ثم (الإنجليز) الذين يتألفون من جميع المهاجرين حديثي الهجرة من بريطانيا، وفي أسفل الدرج يأتي هؤلاء الذين يدعونهم بازدراء (الأمريكيين).

يفخر الكنديون بتكلم الفرنسية، رغم أن هذه اللغة تحتوى على كلمات قديمة، عمرها مائتا سنة لم يعد الفرنسيون أنفسهم يفهمونها.

يشمل هذا التزمت المتكبر حتى الفرنسيين الذين يعيشون في فرنسا!

فأبناء (كيبيك) يسمون هذا الشعب الذي خرج منه الكنديون (الغرباء)!

لقد أطلت الحديث في هذا الموضوع؛ لكي أوضح أن هجري لمدينتي يعتبر جريمة كبيرة، وقد أفهموني أن هجرة الدير و(كيبيك) يجعلني أقطع جميع صلاتي بالأوصياء

عليّ، وبأسرتي.

وعندما وصلت إنجلترا كنت ما أزال أشعر ببعض الذنب، وهناك وجدت أن كوني من إحدى المستعمرات يشكل لي عقبة كبيرة، خاصة عند دخولي كلية ثانوية، لفتيات المجتمع.

كانت (استور هاوس) كلية من الطراز العتيق، تضم غرفاً لخمسين فتاة، تتوزع كل اثنتين في غرفة، ونظراً لكوني (أجنبية) وضعوني مع (أجنبية) أخرى. هي فتاة لبنانية ثرية، مغرمة بالشيكولاتة، وبنجم سينمائي مصرى يُدعى (بن سعيد). ولكن الفتيات الأقدم الثلاث اللاتي يتزعمن قسمنا، لم يلبثن أن مزقن صورة الممثل، وألقينها في المرحاض.

كانت الفتاة اللبنانية مزعجة جداً، لا تكف عن الكلام عن ثروتها، حتى أن جميع التلميذات تقريباً، أشفقن عليّ، وأخذن يعاملنني بلطف، ولكن كانت هناك فتيات لا يعرفن الشفقة، وهكذا أضطررت لتحمل الكثير، بسبب لكنتي، وطريقتي في الجلوس إلى المائدة، لمجرد أنني كندية.

وأعترف بأنني لم أكن متساهلة أبداً.

فقد كنت لا أقبل التحديات، أو المداعبات. وعندما ضربت اثنتين أو ثلاثاً من الفتيات، تحالفت الباقيات معهن.

وفي مساء أحد الأيام هاجموني جميعاً، وأنا في فراشي، وانهلن عليّ ضرباً، وقرصاً، ورشقنني بالماء البارد، حتى انفجرت باكية، ووعدتهن بألا ألجأ إلى العنف بعد الآن.

كانت فترات العطلة تحل مشاكلي، فقد تصادقت مع فتاة إسكتلندية تدعى (سوزان دف) وقد سر أهلها بصداقتنا. وهكذا أخذت أقضي الصيف في إسكتلندا، والشتاء في مختلف أنحاء أوروبا، حيث أمارس التزلج على الثلج.

وقد ظللنا على علاقة قوية، طوال سنوات الكلية. وبعد انتهاء دراستنا، أرسلت إليّ عمتي خمسمائة جنيه؛ لكي أنضم إلى نادى يقيم سهرات راقصة في فندق (هايد

بارك). إلا أنني وجدت الشبان قليلي التهذب، وأقل رجولة من الشبان الكنديين الذين عرفتهم.

وهنا التقيت (ديريك)

كان ذلك في نهاية شهر مايو، وقد قررنا أنا و(سوزان) أن نقيم حفلًا ندعو إليه ثلاثين شخصاً. وفكرنا بأنه لن يأتي أكثر من عشرين. فاشترينا ثماني عشرة زجاجة شمبانيا، وصندوق كافيار، وأعددنا مجموعة متنوعة من الساندويتشات، وضعناها كلها على مائدة طويلة.

وجاء المدعوون الثلاثون وأحضروا معهم ضيوفاً آخرين!

ولم يتسع المنزل للجميع، فجلس بعضهم على درج السلم، وكانت الضجة مخيفة. وفجأة حدث أمر فظيع.. نفد الشراب!

كنت واقفة بجوار المائدة، عندما أفرغ أحد الضيوف آخر قطرة من آخر زجاجة شمبانيا، وصاح بصوت مختنق:

- شراب! شراب! وإلا فلن نرى إنجلترا بعد الآن!

وفى تلك اللحظة أمسك شاب طويل القامة، كان مستنداً إلى الجدار بذراعي، وأخرجني من الغرفة، وأنزلني على السلم، وهو يقول بصوت حازم:

- تعالي، لا يمكننا ترك مثل هذا الحفل الناجح يفشل. سنأتي بالشراب من الحانة المجاورة.

وذهبنا إلى الحانة، واشترينا زجاجتي (جين) وكمية من الليمون، وقد أصر على دفع ثمن (الجين) ولكنني دفعت ثمن الليمون.

كان ثملاً قليلاً، ولكنه لطيف، وشرح لي أنه جاء من حفل آخر، وأن بعض أصدقاء (سوزان)

اصطحبوه إلى هنا، وأخبرني أنه يدعى (ديريك مالابي)، ولكنني لم أعطه اهتماماً كبيراً؛ لأنني كنت أريد توصيل الشراب إلى ضيوفي بسرعة.

وما كدنا نصل إلى رأس السلم، حتى استقبلنا الضيوف بالهتافات، ولكن الحفل كان قد أخذ يفتر، وبدأ الضيوف ينصرفون.

وعندما لم يبق سوى الأصدقاء الحميمين، اقترب (ديريك) مني، وأزاح شعري عن أذني، وسألني هامساً: هل أقبل أن أرافقه لتناول شيء من الطعام.

نزلت خلفه إلى الشارع، وأخذنا سيارة تاكسي، اجتازت بنا لندن، حتى أوصلتنا إلى مطعم خاص بتقديم الإسباجيتي، وتناولنا الطعام، ومعه زجاجة نبيذ. شرب (ديريك) الجزء الأكبر منها، وأخبرني أنه يقيم قرب (وندسور)، وأنه يوشك أن يبلغ الثامنة عشر، وأن هذا آخر فصل له في الكلية، وأن عمته توفيت منذ مدة قصيرة، وتركت له مبلغاً من المال.

ذهبنا بعد ذلك إلى أحد النوادي الجميلة، وكانت الفرقة الموسيقية تعزف ألحاناً حالمة. فأخذنا نرقص بانسجام تام.

ظللنا في النادي، حتى الرابعة صباحاً. وعندما خرجنا اضطررت إلى الاستناد إليه. وبعد أن صعدنا إلى التاكسي ضمني بين ذراعيه وقبلني.

وابعدت يده المتسللة مرتين، ولكن في المرة الثالثة قلت لنفسي: إن تصرفي ربما دلّ على التزمت الأحمق. فتركتها تداعبني.

وأخيراً وصلنا إلى المنزل، فنزل من السيارة، ورافقني حتى الباب، وهناك قبلني مودعاً.

وقبل أن أندس في سريري، نظرت إلى نفسي في المرآة الموجودة فوق المغسلة.. كان هناك بريق غريب ينبعث من عيني ووجهي. وفكرت بأن هذا بسبب (الجين) الذي شربته. ولكنني هتفت في أعماق قلبى:

«يا إلهي! إنني عاشقة».

الفصل الثالث

يقظة الربيع

إن كتابة كل هذا تستغرق بعض الوقت، إلا أنني قضيت بضع دقائق فقط، في استعادة هذه الذكريات، وعندما عدت من أحلامي، ووجدت نفسي مرة أخرى في النزل، لاحظت أن الثلج قد ذاب في كأسي، فنهضت وتناولت قطعة ثلج أخرى من الثلاجة، ثم عدت إلى الجلوس في مقعدي، وأشعلت سيجارة، وسحبت نفساً طويلاً منها، ثم أطلقته. ورجعت بالذاكرة إلى ذلك الصيف الطويل.

عندما انتهت السنة الدراسية، أخذنا – أنا وديريك – نتبادل الرسائل، وقد أخبرني أن أهله أهدوه سيارة، وسألني: هل أقبل أن أرافقه في نزهة فيها؟

ذهلت سوزان عندما أبلغتها أني لن أذهب إلى إسكوتلندا، وأنى أريد البقاء في شقتنا، في الوقت الحالي على الأقل.

لم أخبرها بموضوع ديريك؛ فضلت أن أحتفظ بمغامرة عاطفية لنفسي، وأكتفيت بأن أقول لها: سأحاول العثور على عمل، وإني ربما لحقت بها فيما بعد.

وفى أحد، الأيام تلقيت رسالة من ديريك يطلب مني أن أستقل القطار - يوم السبت التالي – إلى وندسور، حيث ينتظرني.

هكذا بدأنا عادات منتظمة جديدة.. ففي المرة الأولى، كان ينتظرني على الرصيف، واقتادني بسرعة إلى سيارته، وسألني عن رأيي، فأبديت إعجابي بها.

وانطلقت بنا السيارة بسرعة، كان ديريك يقود ببراعة، ويدور في المنعطفات بسرعة كبيرة أخافتني في البداية، إلا أنني ما لبثت أن شعرت بالاطمئنان بجواره.

بعدها اصطحبني إلى مكان أنيق جدًا، يدعى فندق باريس، وعندما انتهينا من تناول الطعام، استأجرنا قارباً، وقمنا بنزهة في النهر.

كان مع ديريك جهاز جرامافون. فأوقف الزورق على الضفة، ونزلنا منه، وأخذنا نرقص تحت الأشجار، وقد تبادلنا القبلات، ولكنه اكتفى بها دون أن يتمادى في

المداعبة، مما جعلني أشعر بالاطمئنان؛ لأنه لم يعتبرني فتاة سهلة.

هاجمنا الباعوض، فاضطررنا للعودة بالقارب، إلى حيث أخذناه. وعندما صعدنا إلى السيارة، اقترح ديريك أن نذهب إلى السينما.

ذهبنا إلى سينما (رويالتي)، وقد أدركت لماذا اختارها ديريك هي بالتحديد، عندما رأيته يدفع اثني عشر شلناً من أجل مقصورة، كانت هناك مقصورتان، كل واحدة على أحد جانبيّ الصالة، وكانت مساحة المقصورة أربعة أمتار، وبها مقعدان عاديان.

وضع ديريك مقعده بجوار مقعدي وأخذ يقبلني ويداعبني، فكرت فوراً:

«يا إلهي! إنه يحضرهن جميعاً إلى هنا»!

لكني ما لبثت أن تخليت عن جميع تحفظاتي، ودفنت وجهي في كتفه، وعضضت على شفتي، وأنا أستسلم إلى الرجفة اللذيذة التي أصابتني، وفجأة أخذت دموعي تسيل، وتبلل ياقة قميصه.

قبلني ديريك بنعومة، وهو يقول لي بصوت خافت: إنه يحبني، وإني أجمل فتاة على وجه الأرض، لكنني ابتعدت عنه، وجففت عينيّ، وحاولت أن أتابع الفيلم، وخُيل إليّ أن استسلامي لمداعباته أفقدني شيئاً من بكارتي، وأنه لن يحترمني بعد الآن.

رافقني ديريك إلى آخر قطار مسافر إلى لندن، وقررنا أن نلتقي في نفس الساعة يوم السبت التالي، وقد ظل واقفاً على رصيف المحطة، يلوح لي بيده، حتى ابتعد بي القطار، واختفى عن ناظري.

هكذا بدأنا حبنا فعلاً، ثم أخذت لقاءاتنا تجري بنفس النظام: تناول الطعام، ثم النهر، فارقص على أنغام الجرامافون، وفي النهاية المقصورة الصغيرة في السينما.

وأخيراً جاء آخر يوم سبت في شهر سبتمبر، دون أن أنتبه إلى ذلك. كان فصلاً جديداً يوشك أن يبدأ، وسوزان ستعود إلى شقتنا يوم الإثنين، وقد وجدت وظيفة، بينما كان ديريك سيعود إلى أكسفورد.

فى ذلك اليوم أظهر ديريك اهتماماً كبيراً بي، فاصطحبني في المساء إلى فندق (بريدج)، حيث تناول كل منا ثلاثة كؤوس من (الجين)، رغم أننا كنا عادة لا نتناول الشراب، ثم أصر على أن نشرب الشمبانيا على العشاء، لذلك عندما وصلنا إلى السينما كنا ثملين قليلاً.

كنت سعيدة؛ لأن الشراب جعلني أنسى أن هذا هو آخر يوم في مقابلاتنا.. المعتادة!

لكن ديريك بدا لي متجهماً عندما كنا نجلس في مقصورة السينما، فلم يأخذني بين ذراعيه كالعادة، بل جلس بعيداً عني قليلاً، وأخذ يدخن، وهو يتابع الفيلم.

اقتربت منه، وأمسكت بيده، ولكنه لم يتحرك، وظل ينظر أمامه، وسألته عما به، وبعد لحظة أجابني بلهجة شبه جافة:

- أريد أن تسلميني نفسك.

وشعرت بصدمة، كان سببها خشونة لهجته، لقد تحدثنا عن هذا في الماضي بالفعل، ووصلنا إلى تفاهم بأن نترك ذلك إلى وقت آخر، واستنجدت مرة أخرى بالأعذار، التي استخدمتها في الماضي، ولكنني كنت مضطربة ينتابني الارتباك. لماذا أفسد يومنا الأخير؟

وأجابني بنفاد صبر:

- لا بد من حدوث ذلك عاجلاً أو آجلاً.

ثم أضاف:

- إننا على كل حال عاشقين، فلماذا لا نتصرف كالعشاق؟

وقلت له: إنني أخشى العواقب. وأجاب: إن هذا لا يشكل عقبة، وإنه من السهل تجنب ذلك.

لكنني تابعت النقاش: ولماذا هذا المساء؟

وأجابني بأنه يريد أن يفعل ذلك قبل أن يذهب إلى (أكسفورد)؛ لأن هذا يجعله

يشعر بأننا شبه متزوجين.

وأخذت أفكر بقلق فيما يقول، ربما كان هناك بعض الصواب في كلامه، فهذا العمل سيشكل نوعاً من الرابطة في علاقتنا، لكنني ما زلت خائفة، وسألته بتردد:

- هل ستتخذ الاحتياطات اللازمة؟

فأجابنى: بأنه عمل حساب كل شيء، ثم قبلني ونهض بسرعة. ظللت جالسة أنظر إلى الشاشة بحزن، وأفكر؛ بعد الآن لا يمكنني أن أرفض طلبه، سوف يعود، وسأشعر بالخطيئة.

وخطر لي للحظة أن أهرب، وأن أركض إلى المحطة، وأستقل أول قطار مسافر إلى لندن، ولكنه سيغضب، ويعتبر أني جرحت كرامته، ثم.. كان لا بد أن يأتي يوم ويحدث لي هذا، فلا يمكن للفتاة أن تختار اللحظة المثالية لشيء كهذا، ثم إنني أفضل أن أفعل كِل شيء على أن أثير غضبه.. كل شيء أفضل من المجازفة بالقضاء على حبنا.

وفُتح الباب، وأنار مصباح البهو داخل المقصورة لحظة، وجلس ديريك بجانبي وهو يلهث.

دفع ديريك كرسيه إلى طرف المقصورة... ومرت لحظات .. وفجأة غمرنا نور أصفر، وصاح صوت غاضب:

- اللعنة عليكما! ماذا تفعلان في صالتي؟! انهضي أيتها القذرة.

لا أعرف كيف لم أفقد الوعي.. أما ديريك فقد ذهل من هول المفاجأة، فظل في مكانه نصف عار، وقد شحب وجهه، ونهضت بصعوبة على قدمي، وأنا أتعلق بحاجز المقصورة، ووقفت جامدة أنتظر الموت.

وأشار المدير إلى خارج المقصورة وصاح بنا:

- اخرجا فوراً.

وصفق المدير الباب خلفنا ثم وقف أمامنا ونظر إليّ بغضب وقال:

- لقد رأيتك قبل الآن هنا، لا شك بأنك مجرد عاهرة، ولولا طيبة قلبي لسلمتكما إلى الشرطة.

وأخرج دفتراً صغيراً من جيبه، وبلل رأس قلمه بلسانه، ثم التفت إلى ديريك وسأله:

- ما اسمك؟

تمتم ديريك باضطراب:

- جيمس... جرانت... أقيم في (أكاسيا رود - نيتلبد)

(كان كاري جرانت هو بطل الفيلم)

والتفت إليّ الرجل وسألني بحدة:

- وأنتِ؟

كان حلقي جافاً، فابتلعت ريقي وأجبت بصوت خافت:

- الآنسة تومبسون، أودري تومبسون، 24 تومس رود... لندن.

عندما انتهى من الكتابة أشار بيده إلى الشارع وقال:

- اغربا عني، ولا تعودا إلى صالتي بعد الآن.. إذا رأيتكما مرة أخرى، سأستدعي الشرطة.

وتحركنا تلاحقنا النظرات الساخرة، وأمسكت بذراع ديريك وخرجنا تحت الأضواء المقيتة، وانعطفنا إلى اليمين، وسرنا بسرعة دون أن نلتفت وراءنا.

ولم يفتح ديريك فمه، حتى اقتربنا من السيارة فقال:

- يجب أن نسمح لهم بتسجيل رقم السيارة، سأذهب لإحضارها بينما تنتظريني أنت عند (فولرز). سوف يستغرق ذلك عشر دقائق تقريباً.

وقفت أراقبه وهو يبتعد ثم استدرت وسرت في شارع ضيق يؤدى إلى المكان

المتفق عليه، وعندما وصلت إلى أحد مصابيح الشارع توقفت، ونظرت إلى وجهي في مرآتي الصغيرة، كان شكلي مفزعاً، فقد تحول شحوب وجهي إلى لون أخضر، بينما كانت عيناي تشبهان عيني حيوان مطارد، وكان فمي ملطخاً بالأحمر، نتيجة قبلات ديريك.

«أيتها القذرة».. كان الرجل على صواب، إنني أشعر بنفسي قذرة، منحطة، وخاطئة.

الفصل الرابع

عزيزتي فيفيان

لم تنته تلك الليلة بالنسبة لي، فقد وجدت أمام (فولرز) شرطياً يقف بجوار سيارة ديريك، وهو يناقشه، حرك ديريك رأسه فرآني وهتف:

- ها هي، لقد قلت لك إنها ستأتي بعد دقيقة، إنها اضطرت للذهاب إلى... أنت تفهم.. أليس كذلك يا عزيزتي؟

إنها متاعب جديدة، وأكاذيب جديدة، وأيدت كلام ديريك، وأنا ألهث، ثم صعدت إلى السيارة، وابتسم الشرطي لي بخبث، وقال لديريك:

- حسناً يا سيدي، ولكن في المرة القادمة، تذكر أنه لا يحق لك إيقاف سيارتك هنا، حتى ولو لسبب مهم كهذا.

وابتسم ديريك لدعابة الشرطة السمجة، ثم انطلق بالسيارة، وبعد قليل قال:

- لقد نفذنا بجلدنا، تصورت أننا لن ننجو من الفضيحة، تخيلي لو أن أهلي قرأوا خبر حادثتنا في الصحف، وتصوري الفضيحة التي كانت ستحدث في أكسفورد.

- كان ذلك رهيباً.

تابع ديريك قائلاً دون أن يبدو عليه أي تأثر:

- كان هذا شيئاً رهيباً، خاصة بعد أن رتبنا كل شيء.

تصنع بعض الحماس في صوته؛ ليحاول إقناعي وقال:

- اسمعي، أمامنا ساعة قبل رحيل القطار، لماذا لا نذهب للنزهة على ضفة النهر؟ هناك مكان خاص يتردد عليه جميع الشبان والفتيات، إنه مكان منعزل، وسيكون من المؤسف أن تضيع علينا هذه الفرصة، بعد أن أتخذنا قرارنا.

وذهلت لكلامه، وأجبته بانفعال:

- ولكن هذا مستحيل يا ديريك، يبدو أنك لا تدرك الحالة التي أنا فيها، بعد ما حدث.

- ماذا تقصدين بذلك؟ هل أنتِ مريضة؟

- لا، ولكنني متأثرة بهذا الشيء الفظيع الذي حدث لنا.

قال بازدراء:

- هل هذا هو كل شيء؟ ولكننا تخلصنا من المأزق، أليس كذلك؟ هيا، أين روحك الرياضية؟

وانتابني الذعر عندما فكرت بأن عليّ أن أعيش تلك اللحظات مرة أخرى، وأخذت ركبتاي ترتجفان، وأخيراً أجبت بصوت مختنق:

- حسناً.. كما تريد..

- أحسنت! هذه هي فتاتي!

عبرنا الجسر، وأوقف ديريك السيارة عند الشاطئ، ثم ساعدني على تخطي حاجز للدخول إلى أحد الحقول، أدار ذراعه حول كتفي وقادني في ممر طويل. مررنا ببعض القوارب الراسية عند الشاطئ، فقال ديريك:

- أتمنى لو كان عندي قارب كهذا، لماذا لا نحاول الدخول إلى أحدها؟ سنجد سريراً مزدوجاً، وربما وجدنا بعض الشراب في الخزائن.

- لا يا ديريك.. بحق السماء دعنا من هذا، لقد كفانا ما واجهنا من متاعب حتى الآن.

ضحك ديريك وقال:

- ربما كنت على صواب، عموماً إن العشب طري كفاية.

ووصلنا إلى مجموعة من الأشجار المتقاربة، هذا هو المكان، وأخذت الدقائق تمر بي وكأنني في حلم، وبعد فترة لا أعرف كم كانت وجدت نفسي ممددة على العشب،

أنظر إلى القمر، وأنا أحاول إيقاف دموعي، لقد فقدت ما كنت أعتبره كنزاً، ولكن بقي لي هذا الرجل، إنه لي، وسوف يسهر علي، إن كل منا ملك للآخر، ولن أعرف الوحدة بعد الآن، فسنكون دائماً معاً.

وطبع ديريك قبلة على خدي المبتل، ثم نظر إلى ساعته وقال:

- باقي ربع ساعة على موعد رحيل القطار، الأفضل أن نرحل الآن.

سرنا بصمت جنباً إلى جنب، وعندما أمسكت بذراعه لم يرد بالضغط على ذراعي، كنت أريد أن يُظهر لي المزيد من الحنان، وأن يحدثني عن لقائنا القادم، ولكنني شعرت به فجأة يبتعد عني. ووصلنا إلى السيارة، وذهبنا بها إلى المحطة، ووقفنا عند المدخل، وتحت الضوء الأصفر رأيت وجهه منقبض الملامح، بينما كانت عيناه تتجنبان النظر إلى عيني، وقلت له:

- لا تصحبني إلى القطار يا حبيبي، ماذا ستفعل يوم السبت القادم؟ لا يمكنني أن أذهب إلى أكسفورد، أم أنك تريد الانتظار حتى ترتب أمورك هناك؟

أجابني بتردد:

- لن يكون الأمر سهلاً، ستكون الأمور مختلفة في أكسفورد، سوف أكتب لك.

ورفعت جسدي واقفة على رؤوس أصابعي، وقبلت شفتيه، فأجابني بقبلة فاترة، وقال وهو يهز رأسه:

- حسناً، إلى اللقاء.

وارتسمت ابتسامة مغتصبة على شفتيه، واستدار وخرج متجهاً إلى سيارته.

لم أستلم منه رسالة إلا بعد أسبوعين، وكنت خلال ذلك قد كتبت له مرتين دون استلام أي رد، بدأت رسالته كالتالي:

(عزيزتى فيفيان..

لن تكون كتابة هذه الرسالة أمراً سهلاً..)

بعد أن قرأت هذه المقدمة دخلت غرفتي وأغلقت الباب بالمفتاح، وجلست على سريري، وأنا أستجمع أطراف شجاعتي.

قال: إن الصيف الذي انتهى كان دميلاً، وأنه لن ينساني أبداً، إن حياته تغيرت، وسيكون لديه عمل كثير لا يسمح له بوقت للاهتمام بالفتيات.

لقد تكلم مع والديه عني إلا أنهما عارضا علاقتنا، وقالا له إنه ليس من اللائق الاستمرار في علاقة مع فتاة، إذا لم يكن هدف هذه العلاقة هو الزواج، وقال:

(إن لديهما أفكاراً سخيفة عن الأجنبيات، رغم أني لا أفرق بينك وبين أية فتاة إنجليزية، وأنتِ تعرفين أني أعبد لكنتك).

ثم أخبرني أنهما يفكران بتزويجه من ابنة أحد جيرانهما. وقال:

(أنا لم أحدثك عن ذلك، وأظن أن هذا كان تقصيراً مني، ولكننا كنا شبه خطيبين، لقد عشنا أياماً رائعة معاً، ولم أرغب في أن أفسدها بإطلاعك على هذا الأمر).

إنه يتمنى أن تجمعنا الحياة مرة أخرى، وبانتظار ذلك. أرسل لي دستة من زجاجات الشمبانيا! ثم أنهى رسالته قائلاً:

(أرجو حقاً ألا تسبب لك هذه الرسالة حزناً كبيراً، لأنني أعتبرك فعلا أفضل بكثير من أن أستحقك، مع كل حناني... ديريك)

لقد تصرفت كفتاة مستهترة، وعوملت على هذا الأساس، ففي العالم الصغير المتزمت – الذي هو إنجلترا – كنت فتاة كندية – أي أجنبية – وصيداً سهلاً.

الأفضل لي بعد الآن أن أكون أكثر وعياً وإلا تعرضت لمزيد من الآلام.

ورغم محاولاتي للتجاوز، كانت في داخلي فتاة صغيرة تئن ألماً، مر بي وقت قضيت فيه الليل أبكي، أو أصلي للقديسين؛ لكي يعيدوا إليّ ديريك، ولكنهم لم يستجيبوا لطلبي.

كان كبريائي يمنعني من محاولة استعطافه، أو تجاوز حد رسالتي المقتضبة التي أبلغته فيها استلامي رسالته، وإعادة الشمبانيا إلى المتجر الذي أرسله منه.

انتهى الصيف، ولم يبق منه سوى ذكريات مؤلمة، تلك التي تركتها حادثة السينما، كنت أعرف أن هذه الآثار ستظل محفورة في نفسي طوال حياتي.

ومن حسن حظي أني حصلت على العمل الذي كنت أسعى إليه، كان في جريدة (تشيسلي كلاريون) التي بدأت بنشر الإعلانات الصغيرة ثم تحولت إلى نشرة متخصصة في تلبية احتياجات الأشخاص، الذين يبحثون عن شقق، أو غرف، أو خدم، في أحياء جنوب غرب لندن. وكانت في الجريدة صفحات تحريرية تتعلق بشئون الحي، مثل مصابيح الشوارع، وعدم وجود عدد كاف من الباصات على الخط رقم 11، وكثرة لصوص زجاجات الحليب، مع صفحة كاملة عن أخبار النميمة في الحي، وقد أخذ الجميع يطالعون هذه الصفحة، التي كانت تُكتب بطريقة تجنب الجريدة أخطار المقاضاة بتهمة السب والقذف، وفي الجريدة أيضاً افتتاحية عنيفة عن الولاء للإمبراطورية، وهو موضوع يتفق مع آراء أهل الحي.

كان راتبي خمسة جنيهات في الأسبوع، تضاف إليها سمسرة من الإعلانات التي أتمكن من الحصول عليها، وهكذا قررت أن أتخلى عن طبيعتي العاطفية، واعتمد على ذكائي وجرأتي، لكي أثبت لهؤلاء الإنجليز المغرورين أني قادرة على كسب قوتي، حتى لو لم أكن من جنسهم.

أخذت أعمل في النهار، ولا أبكي إلا في الليل. وأصبحت أكثر الموظفين نشاطاً، فكنت أجهز الشاي لجميع الموظفين، وأحضر الجنازات، وأحصل على قائمة بأسماء أفراد الأسرة، وأحرر أخباراً مثيرة، وأهتم بصفحة المسابقات، وحتى أني كنت أتأكد من صحة معاني الكلمات المتقاطعة، قبل إرسالها إلى المطبعة.

وفى أوقات فراغي كنت أقوم بجولة في الحي، وأحصل على إعلانات من أصحاب المتاجر، والفنادق، والمطاعم، حتى وصل ما أكسبه من السمسرة إلى حد جعل المدير يعتقد بأن الأوفر له أن يجعلني موظفة مثبتة براتب أسبوعي قدره خمسة عشر جنيهاً.

وهكذا وضعني في غرفة صغيرة تجاور غرفته، وأعطاني لقب مساعدة رئيس

التحرير. بدا الأمر أنه كان يشمل الحق بأن يتمادى في علاقته معي، ولكنني في أول مرة حاول أن يمد يده عليّ، أخبرته بأن عندي خطيب في كندا، وتبعت ذلك بنظرة غاضبة جعلته يتركني في حالي.

استلمت وظيفتي الجديدة، وأصبح لي الحق بأن أوقع مقالاتي باسمي، وهكذا أصبحت (فيفان ميشيل) شخصية مشهورة، وارتفع راتبي إلى عشرين جنيهاً.

ظللت في هذه الجريدة عامين حتى بلغت الحادية والعشرين من عمري، في هذه الأثناء تلقيت عروضاً من صحف كبيرة مثل (الديلي إكسبريس) و(الديلي ميل) وبدا لي أن الوقت حان كي أترك الحي، وأواجه العالم.

كنت ما زلت أقيم مع سوزان، وكانت قد وجدت وظيفة في وزارة الخارجية، في دائرة خاصة بالمخابرات، وكانت ترافق شاباً من نفس الدائرة، وتوقعت ألا يمر وقت طويل حتى تعلن خطبتهما، وبالتالي سيحتاجان إلى الشقة بكاملها.

كانت حياتي الخاصة فارغة تماماً، كنت أقوم بجمع الأصدقاء، وبعض المعجبين، الذين ما ألبث أن أتخلص منهم، وأصبحت معرضة إلى خطر التحول إلى فتاة ناجحة في عملها، ولكنها تدخن كثيراً، وتفرط في الشراب، وفي وحدتها تأكل طعاماً محفوظاً.

Telegram:@mbooks90

وهنا، وفي حفل أقامته الصحافة، قابلت (كورت رينر)

الفصل الخامس

طير مكسور الجناح

لا يزال المطر ينهمر بنفس القوة، وقد تابعت نشرة أخبار الساعة الثامنة مساء وصف الأضرار، والكوارث، التي نتجت عن العاصفة.

إن الحياة الأمريكية تضطرب تماماً عندما تهب العواصف، أو يتساقط الجليد، فعندما تعجز سيارات الأمريكيين عن السير تتوقف الحياة.

وعندما يصبح بالإمكان التقيد بمواعيد القطارات يصاب الأمريكيون بالذعر، ويحاصرون المحطات، ويتدافعون نحو غرف الهاتف، كما يتركون أجهزة الراديو مفتوحة باستمرار؛ تحسباً لأي خبر مطمئن.

كنت أتخيل الفوضى السائدة في الطرقات، وفي المدن، وأنا جالسة هنا باطمئنان. أوشك كأسي على الانتهاء، فأضفت له القليل من الويسكي، ووضعت قطعة من الثلج، ثم أشعلت سيجارة أخرى، وعدت إلى مقعدي، في اللحظة التي كان فيها المذيع يعلن عن تقديم نصف ساعة من موسيقى الجاز.

كان كورت لا يحب الجاز، ويعتبره دليلاً على الانحطاط، وقد جعلني أتوقف عن التدخين، والشراب، واستعمال أحمر الشفاه، وأصبحت حياتي رصينة، تقوم على زيارة معارض اللوحات الفنية، وقاعات المحاضرات.

وقد رحبت بهذا التغيير؛ لأنه كان مناقضاً لحياتي الفارغة، والواقع أن هذا النظام القاسي أظهر مرة أخرى الطبيعة الجادة الموجودة عند كل كندي.

كانت FWZ أي (فيريانو وستهد وتشرز زيتونغن) وكالة أنباء مستقلة، تمولها بعض صحف ألمانيا الغربية، وكان كورت ريزر أول مراسل لها في لندن.

عندما تعرفت عليه كان يبحث عن مساعد إنجليزي يتابع لصالحه الصحف اليومية، والأسبوعية؛ ليستخلص منها الموضوعات التي يمكن أن تهم القارئ الألماني، بينما يهتم هو بالأخبار الديبلوماسية الهامة، ويتولى الشئون الخارجية.

فى ذلك المساء اصطحبني إلى العشاء، وحدثني عن أهمية مهمته، وهدفها بالنسبة للعلاقات الإنجليزية الألمانية.

كان متين البنيان، من النوع الذي تعود على الحياة في الهواء الطلق، وكان بشعره الأشقر اللامع، وعينيه الزرقاوين البريئتين، يبدو أصغر من عمره الثلاثيني.

حكى لي أنه من (أوغسبورج) القريبة من (ميونخ)، وأنه الابن الوحيد لأب وأم، كانا طبيبين تم احتجازهما في معسكر للاعتقال، ثم أنقذهما الأمريكيون، أما سبب اعتقالهما فهو استماعهما للإذاعة الإنجليزية، وإقناعهما كورت الصغير بعدم الانضمام إلى الشبيبة الهتلرية.

تعلم كورت في كلية ميونخ، وأثناء الجامعة بدأ العمل في الصحافة، وانضم إلى أسرة تحرير (دى فليت) وهى الجريدة الرئيسية في ألمانيا الغربية، وهناك تم اختياره لهذا المركز في لندن بسبب إجادته للغة الإنجليزية.

سألني كورت عن عملي. وفي اليوم التالي ذهبت إلى مكتبه المكون من حجرتين، وأطلعته على بعض مقالاتي.

وكان قد حصل على معلومات عني عن طريق أصدقائه في نادي الصحافة، وبعد أسبوع وجدت نفسي أحتل المكتب المجاور لمكتبه، وحولي الأجهزة اللاسلكية لوكالة (اسوشيتد برس) و(رويترز) و(الاكسشينج تلغراف)

كان راتبي ممتازاً يبلغ ثلاثين جنيهاً، وكان عليّ بشكل خاص أن أؤمن الاتصال بالتلكس مع مركزنا الرئيسي في (هامبورج)

كان جهلي باللغة الألمانية يسبب لي بعض الصعوبات، فقد كان عليّ أن أرسل الأنباء بالتلكس وباللغة الإنجليزية، على أن تجرى ترجمتها هناك بعد استلامها، ولكن موظفي التلكس في (هامبورج) كانوا يجيدون الإنجليزية، ويتبادلون الحديث معي عندما أراسلهم.

كان العمل شبه آلي، لكنه يحتاج إلى سرعة ودقة، ولم يلبث كورت أن منحني ثقته التامة، وأخذ يترك المكتب في عهدتي.

كنت أشعر بلذة لسيطرة كورت التي تظهر في تعليماته، واتخاذه للقرارات، وكانت هذه اللذة تشمل أجواء السرعة التي تسود العمل في وكالات الأنباء.

تزوجت سوزان فانتقلت أنا إلى شقة مفروشة في نفس العمارة، التي يقيم فيها كورت، كان حسن السلوك معي تماماً، وكان يعتبر نفسه رفيقاً لي.

وكنا نعود معاً إلى البيت سيراً على الأقدام يومياً، وأصبح تناولنا العشاء معاً أمراً عادياً، كنوع من التوفير، وهكذا تعود أن يأتي حاملاً الجرامافون إلى شقتي، حيث أقوم بتجهيز الطعام.

وقد أدركت خطورة هذا، فأخذت أختلق وجود أصدقاء لي عليّ أن أقضي بعض الأمسيات معهم، وهكذا اضطررت لأن أذهب في هذه الأمسيات وحيدة إلى السينما، بعد أن أتناول العشاء وحدي.

بلغ من حسن تصرف كورت معي أني وجدت أن جميع مخاوفي كانت سخيفة، وازدادت ثقتي عندما عاد كورت ذات يوم من رحلة إلى ألمانيا، وأخبرني أنه خطب إحدى صديقات طفولته وتدعى (ترود)، إنها ابنة أستاذ فلسفة في (هايدلبيرج)

كان كورت يترجم لي رسائل خطيبته، ويتناقش معي حول عدد الأولاد الذين ينوي إنجابهم، ويسألني عن رأيي في تنسيق البيت الذي ينوي شراءه في (هامبورج) بعد أن يكمل السنوات الثلاث التي يجب عليه قضاؤها في لندن، حتى يوفر مبلغاً من المال، يكفي للزواج.

أتسع نطاق أحاديثنا مع مرور الأيام، فشمل حتى حياتهما الخاصة، وأخبرني كورت أنه نظم حتى حياتهما الغرامية، وأعترف إنني شعرت ببعض الغيرة، بسبب المتعة التي تنتظر ترود على يدي هذا الرجل الجميل.

ومرت بي ليالي كنت أتمنى فيها أن أجد من يعاملني بنفس الخبرة، التي كنت أسمع كورت يحدثني بها عن مراحل حياته الزوجية القادمة.

ومرت شهور، وأخذت لهجة رسائل ترود، وعددها، تتغير. كنت أول من لاحظ ذلك،

لكني لم أقل شيئاً. أصبحت الرسائل تتضمن شكوى متواصلة من طول مدة الانتظار، واختفت الفقرات العاطفية إلا نادراً، تحدثت الرسائل عن نزهات تعرفت خلالها ترود على بعض الأشخاص اللطفاء.

وبعد ثلاثة أسابيع من الصمت من طرف ترود، وصل كورت مساء أحد الأيام إلى بيتي والدموع تسيل على وجهه. كنت ممددة أقرأ على الأريكة فجلس بجانبي ودفن رأسه في صدري، وأخبرني وهو يبكي، بأن كل شيء انتهى. فقد تعرفت ترود على رجل آخر، طبيب، وأرمل، من (ميونيخ) عرض عليها الزواج فقبلت. لقد تبادلا الحب منذ النظرة الأولى، وعلى كورت أن يدرك أن مثل هذا الأمر لا يحدث إلا مرة واحدة في العمر، وعليه أن يسامحها وأن ينساها، فهي ليست جديرة به، يجب أن يظلا صديقين، وأن الزواج سيتم في الشهر التالي، وعلى كورت أن يحاول أن يتمنى لها السعادة.. الوداع... ترود القاسية!

كان كورت قد لف ذراعيه حولي وأخذ يشدني إليه بيأس، وهو يقول:

- لم يبق لي غيرك، كوني طيبة، وقومي بتعزيتي.

أخذت أداعب شعره بحنان، وأنا أتساءل كيف يمكنني أن أتخلص من ذراعيه، وقلت وأنا أحاول أن أضيف لهجة حكيمة على صوتي:

- إذا طلبت رأيي، فأنت محظوظ لتخلصك من المشكلة بهذا الشكل، فليست هناك فتاة لا يمكن تعويضها، وهذه الفتاة بالذات لم تكن المراة المناسبة لك، هناك فتيات كثيرات أفضل منها في ألمانيا.

حاولت أن أجلس، وأنا أقول:

- تعال يا كورت.. سنذهب للعشاء بالخارج، ثم نذهب إلى السينما، سيساعدك ذلك على النسيان، فلا فائدة من البكاء على ما فات.. هيا..

ونجحت في التخلص من ذراعيه، ولكنني كنت ألهث، وأخيراً نهضنا واقفين وقال لي:

- أنت طيبة معي يا فيفيان، وأنت فعلاً صديقة مخلصة، عندما أحتاج لك، ثم إنك على حق، فلا يجوز أن أتصرف كالفتيات الصغيرات، إن هذا يجعلك تخجلين مني، وهو أمر لا يمكنني تحمله.

ووجه لي ابتسامة حزينة، ثم ذهب إلى الباب، وخرج.

بعد أسبوعين فقط من هذه الليلة، أصبحنا عشيقين! كنت أتوقع أن يحدث هذا، ولم أفعل شيئاً لمنع ذلك، لم أكن مغرمة به، ولكن علاقتنا الشخصية ازدادت متانة، وأخذت القبلة الأخوية على الخد تقترب شيئاً فشيئاً من الفم، حتى استقرت هناك في أحد الأيام، ولم يبق بعد ذلك إلا الخطوة النهائية، فاجتزناها خلال إحدى السهرات في منزلي.

بعد ذلك أصبحت أيامي ممتلئة بهذا الرجل، كنت خاضعة لسيطرته معظم النهار والليل، مما جعل شعوري نحوه بنوع من الحب أمراً طبيعياً.

بعد فترة أرسلني كورت إلى طبيبة يعرفها، ألقت عليّ محاضرة عن أساليب منع الحمل، وزودتني بما يلزم، ولكنها حذرتني رغم هذه الاحتياطات، فهناك احتمال أن يحدث الحمل.

وهذا فعلا ما حدث. في البداية لم أخبر كورت، ثم قررت أن أخبره لأسباب مختلفة، منها عدم رغبتي بالاحتفاظ بالسر لنفسي، والأمل بأن يسعده ذلك ويعرض عليّ الزواج.

لم تكن لديّ أية فكرة عن رد فعله، ولكنني كنت أتوقع شيئاً من الحنان والعطف، على الأقل بعض مظاهر الحب.

كنا واقفين عند مدخل غرفتي نستعد ليتمنى كل منا للآخر ليلة سعيدة، ولم أكن ارتدي شيئاً يستر جسدي، بينما كان هو مرتدياً كامل ثيابه، وعندما انتهيت من الكلام، سحب عنقه بهدوء من بين ذراعيّ، ونظر إلى جسدي من أعلى إلى أسفل بمزيج من الغضب والازدراء، ثم مد يده إلى الباب وقال:

- هكذا إذن؟

ثم خرج من الغرفة، وأغلق الباب خلفه، جلست على طرف سريري، وأخذت أتأمل الجدار، هل قلت شيئاً ما كان يجب ألا أقوله؟ ما معنى تصرف كورت؟ ورميت نفسي على السرير، وأخذت أبكي حتى نمت.

فى صباح اليوم التالي، مررت على شقته؛ كي نذهب معاً كالعادة إلى المكتب، فلم أجده هناك، وعندما وصلت إلى المكتب كان الباب الموصل بين مكتبي ومكتبه مغلقاً، وبعد ربع الساعة تقريباً، فتح الباب وقال لي: إنه يريد أن يتحدث معي.

دخلت المكتب، وجلست في الجانب الآخر منه، كانت المقابلة كالتي تحدث بين موظف ومديره، قبل أن يصرفه هذا الأخير من العمل.

تحدث كورت وقد جاء في حديثه:

فى العلاقة بين رفيقين، كما كانت الحال بالنسبة لنا، لا بد أن يسير كل شيء دون مشاكل، لقد كنا صديقين حميمين، ولكن يجب أن أقر أنه لم يتحدث يوماً عن الزواج، كانت العلاقة بيننا جميلة جداً، ولكن مشكلة حدثت بسبب أحد الطرفين (أنا طبعاً)! لذلك يجب اللجوء إلى حل جذري للمشكلة، التي تتضمن عناصر محرجة، وحتى خطرة بالنسبة لحياتنا.

إن الزواج غير وارد طبعاً، فهو عندما سيتزوج سيختار امرأة من بلده، لذلك اتخذ بعض القرارات، رغم أسفه الصادق.

إن أهم شيء هو أن أتمكن من إجراء عملية فوراً، سوف أستقل الطائرة إلى (زيورخ) وأنزل في أحد الفنادق، وسأطلب مقابلة طبيب الفندق، وأعرض عليه حالتي، لا شك أنه سيقدر الوضع، وسيجد الطبيب أن ضغط الدم عندي مرتفع جداً، أو منخفض جداً، وأن أعصابي لا تتحمل إرهاق الحمل، بعد ذلك سيتحدث إلى طبيب متخصص في الولادة، فأذهب لمقابلته، وسيؤيد هذا الأخير تشخيص الطبيب الأول، وسيحجز لي غرفة في إحدى العيادات، وهكذا تنتهي القضية خلال أسبوع، وفي جو من السرية التامة.

إن هذا الأمر قانوني تماماً في سويسرا، ولن أحتاج إلى إبراز جواز سفري، يمكنني

أن أعطي أي اسم أختاره، اسم امرأة متزوجة بالطبع، ولكن هذا سيكلف كثيراً، ربما مائة جنيه، أو مائة وخمسين جنيهاً.

لقد فكر في هذا أيضاً، وأخرج مظروفاً من أحد أدراج مكتبه، وأعطاه لي .

كان من المنطقي – بعد عامين من العمل الجيد – أن أحصل على راتب شهر كإنذار للفصل، وهذا يعني مائة وعشرين جنيهاً، وقد أضاف إليها – من جيبه الخاص – خمسين جنيها لتغطية نفقات السفر بالطائرة، وما يمكن أن يطرأ من نفقات غير متوقعة.

حاول كورت أن يبتسم وهو ينتظر شكري وتهنئتي على براعته وكرمه، ولا شك أنه ذهل بسبب الاستنكار الظاهر على وجهي؛ لأنه أسرع يقول: إن عليّ ألا أقلق، فهذه الأمور المؤسفة تحدث في الحياة، إنه هو أيضاً مضطرب لرؤيته هذه العلاقة السعيدة تنتهي بهذه الصورة، وقال أخيراً: إنه يأمل بأن أقدر موقفه.

هززت رأسي ونهضت، وأخذت المظروف، وألقيت نظرة أخيرة على الشعر الأشقر، والفم اللذين أحببتهما، وخرجت بسرعة من الغرفة، وأغلقت الباب خلفي.

قبل أن أقابل كورت كنت طائراً يملك جناحاً واحداً، بعد الآن أصبح الجناح الآخر جريحاً أيضاً.

الفصل السادس

اذهبي إلى الغرب أيتها الفتاة

عندما وقعت هذه الحوادث، أي في أواخر شهر أغسطس، كان جو (زيورخ) مبهجاً، بقدر ما يمكن لهذه المدينة الكئيبة أن تعرف البهجة. كانت مياه البحيرة الصافية الآتية من القمم الثلجية مليئة بالزوراق الشراعية، يخترق سطحها المتزحلقون، بينما ملأ المستحمون المسابح العامة.

كان جو العطلة هذا يثير أعصابي، ويسبب آلاماً مختلفة لقلبي المريض، إنها الحياة حسب مفهوم كورت، حياة طبيعية كالحيوانات.

لقد عشنا معاً هذه الحياة، ولم تكن سيئة، بل كانت سطحية. كنت مصابة بخيبة أمل؛ بسبب ارتباطات ديريك الاجتماعية، وتفكير كورت المحلي. أصبحت مستعدة لفقد الثقة بجميع الرجال.

لم أكن آمل بأن يتزوجني كورت، أو ديريك، بل توقعت منهما بعضاً من الطيبة، والتصرف كجنتل مان، توقعت أن يعاملاني كما عاملتهما، ولكن هذه كانت المشكلة.

كنت سهلة ومطيعة جداً، أردت أن أرضيهما، فبدوت لهما صيداً سهلاً، ليس عليهما إلا استغلاله. ولكن هذا انتهى، فبعد الآن سآخذ دون أن أعطي، لقد كشر لي العالم عن أنيابه، وجاء دوري لأكشر، فبعد أن تعلمت كيف أواجه الناس، قررت أن أغير حياتي تغييراً كاملاً.

كان اجهاضي إعداداً مناسباً للدور الجديد الذي قررت القيام به. أخبرني بواب الفندق أن الطبيب في إجازة، لكنه يعرف طبيباً آخر لا يقل عنه مهارة.

فحصني الدكتور (سوسكنبر) وسألني: هل لديّ مبلغ كاف من المال؟

وعندما أجبته بالإيجاب بدت عليه خيبة الأمل. كان أخصائي التوليد أكثر وضوحاً، حيث أخبرني أن لديه بيتاً؛ لأن فنادق (زيرورخ) غالية جداً، وسألني هل لدى مانع في أن أستريح بعض الوقت قبل إجراء العملية؟

نظرت له ببرود، وقلت له، إن عمي هو قنصل بريطانيا، وأنه دعاني للنزول في ضيافته، لذلك أريد إجراء العملية بأسرع ما يمكن.

ونجحت خدعتي على الفور، حيث أظهر الطبيب اهتماماً لحظياً، واتصل بسرعة بالعيادة، ثم أبلغني أن العملية ستجرى بعد ظهر اليوم التالي، وأوصاني بألا آخذ معي سوى ملابس النوم.

كانت العملية أقل ألماً مما توقعت، وبعد ثلاثة أيام عدت إلى فندقي، كنت قد حسمت أمري، سأعود بالطائرة إلى إنجلترا، وأنزل في فندق (أريل) القريب من مطار لندن، وسأظل هناك الوقت المناسب للتخلص من بعض الأمور، سأسدد ديوني وأذهب إلى أقرب بائع للدراجات الهوائية. لقد قررت العودة إلى وطني بوسائلي الخاصة، وسأظل متغيبة عاماً على الأقل، أشاهد خلالها النصف الآخر من العالم.

لقد عشت فترة في لندن، وضربتني الحياة بقسوة، باليمين وباليسار، رغم إنني ما زلت واقفة على قدمي إلا أنني ما زلت أترنح من الضربات.

قررت أن أقطع علاقتي بهذه المدينة، فأنا لا أفهم عالم ديريك المتصنع، ولا أستطيع التعود على الحب الآلى الذي قدمه لي كورت.

قلت لنفسي: إن السبب هو أنني عاطفية للغاية، فلم يكن أي من الرجلين يريد قلبي، بل جسمي. في الحقيقة أنا أبسط من أن أستطيع العيش في أدغال مدينة كبيرة، فأنا فريسة سهلة جداً للوحوش المفترسة.

إذن سأعود إلى البلاد البسيطة، ولكن ليس للجلوس والشكوى، سوف أذهب للاستكشاف والبحث عن مغامرة. سأقضى الخريف في عبور أمريكا، سأعمل خادمة، وجليسة أطفال، وموظفة استقبال حتى أصل إلى (فلوريدا) وهناك سأجد عملاً في إحدى الصحف، وانتظر بهدوء قدوم الربيع، وبعد ذلك سأفكر ماذا سأفعل؟

بعد أن اتخذت هذا القرار شغلتني تفاصيل مشروعي وأنستني حالتي المحزنة، أو وضعتها – على الأقل – في المرتبة الثانية، وخدرت شعوري بالذنب، والذل، والفشل.

ذهبت إلى جمعية السيارات الأمريكية، وحصلت على الخرائط اللازمة، وتحدثت

إلى الموظفين عن وسائل النقل. إن السيارات المستعملة في أمريكا غالية، كما أن الصيانة تكلف كثيراً.

وهنا تحمست لفكرة شراء دراجة نارية.

لقد بدا لي أنه من السخف التفكير بمواجهة الطرق الدولية بدراجة صغيرة، لكن قراري تأثر بفكرة السفر في الهواء الطلق، واستهلاك أقل من ثلاث لترات من البنزين كل مائة كيلومتر، وعدم الحاجة إلى جراج، والسفر مع أمتعة قليلة جداً، وأخيراً فكرة لفت الانتباه في كل مكان سأمر به.

بعد أن اشتريت الدراجة والملابس المناسبة للسفر، حجزت مكاناً في أرخص طائرة مسافرة إلى (مونتريال)، وأرسلت برقية إلى العمة (فلورانس)، وفي أول سبتمبر بدأت رحلتي. شعرت ببعض الغرابة عند عودتي، بعد غياب حوالي ست سنوات، وقالت لي عمتي: إنها وجدت صعوبة في التعرف عليّ، وقد استجوبتني كثيراً لمعرفة لأي مدى لوثتني الحياة التي عشتها، ولا شك أنها كانت ستصاب بالإغماء إذا عرفت الحقيقة، لكني أكدت لها أني رجعت من الجانب الآخر من المحيط، وأنا سليمة القلب.

كاد شعر رأسها يقف عندما أخبرتها عن مشاريعي، وأخذت تحدثني عن الأخطار، التي تنتظرني على الطريق، فأمريكا مليئة برجال العصابات، ولا شك بأنني سأتعرض للاغتصاب!

وفي الخامس عشر من سبتمبر سحبت ألف دولار من حسابي، ووضعت ملابسي الضرورية في أكياس، وقبلت عمتي مودعة، ثم انطلقت على الطريق رقم 2 تلك التي تسير بمحازاة نهر (سان لوران)

كان من الممكن أن يكون الطريق رقم 2 الممتد من (كيبيك) إلى جنوب (مونتريال) واحد من أجمل الطرق في العالم، لولا تكدس البيوت، وأكواخ السباحة على جانبيها.

قررت أن أجتاز كل يوم ما بين مائتين وثلاثمائة كيلو متر، أي أن أقضي حوالي

ست ساعات على الطريق، ولكنني لم أرغب في تقييد نفسي بأي توقيت، كنت أريد رؤية كل شيء.

وإذا أثارت طرق جانبية فضولي فإنني أسلكها وأشاهد الأماكن الجميلة فيها، قدرت أن نفقاتي اليومية لن تتجاوز خمسة عشر دولاراً، فالغرفة في النزل تتكلف ثمانية دولارات، يضاف لها دولار كضريبة مع ثمن القهوة والإفطار، ولن يتكلف البنزين أكثر من دولار واحد في اليوم، الأمر الذي يترك لي خمسة دولارات للغداء، والعشاء، وتناول كأس أحياناً، مع السجائر القليلة التي أدخنها.

سارت الأمور سيراً جيداً في اليوم الأول، حتى أني اجتزت (مونتريال) قبل الليل، وقطعت ثلاثين كيلو متراً على الطريق رقم 9 وقضيت الليل في نزل على الطريق، وأنا سعيدة بيومي الأول.

لقد اجتزت الثلاثمائة كيلو متر الأولى في يوم واحد، ولكنني قضيت حوالي أسبوعين في اجتياز الثلاثمائة وخمس وسبعين كيلو متر التالية.

ليس في الأمر أي سر، فبعد أن عبرت الحدود الأمريكية، أخذت أتجول كأنني أريد أن تطول أجازتي، لم أترك أي حصن قديم، أو متحف، أو شلال، أو كهف، أو جبل مرتفع، إلا وزرته.

وفى نهاية هذين الأسبوعين وجدت نفسي في منطقة بحيرة (جورج)، وهناك سلكت طريقاً جانبية غير مسفلتة، اخترقت الغابة وأوصلتنى إلى نزل وإلى المقعد الذي جلست عليه، أتذكر الظروف التي جاءت بي إلى هذا المكان.

الجزء الثاني:

هم

الفصل السابع

تعالي إلى وكري

لا يزال المطر يهطل بغزارة، يصاحبه صوت المياه المنصبة من الميازيب في زوايا المبنى الأربعة.

وفكرت بسريري، سأنام نوماً عميقاً في الغرفة الصغيرة فخمة الأثاث. إن كل ما في النزل من وسائل الراحة سيكون تحت تصرفي وحدي هذه الليلة.

رغم كل الترتيبات المريحة، والموقع الجميل، كان النزل لا يعمل بشكل جيد، فعندما دخلته قبل أسبوعين لم يكن فيه إلا نزيلين فقط.

استقبلتني السيدة (فانسي)، وهي امرأة يتخلل الشيب شعرها، ولها عينان قاسيتان، وشفتان رقيقتان ترمقنا من خلف مكتب الاستقبال بنظرات متفحصة، لا شك أنها استغربت لحضور فتاة بمفردها، لا تحمل سوى كيسين.

وعندما دفعت دراجتي حتى الغرفة رقم 9 تبعتني وبيدها بطاقتي للتأكد من أنني لم أعطها رقماً خاطئاً للدراجة.

وكان زوجها أكثر لطفاً، لكنني ما لبثت أن عرفت السبب عندما لامس ظهر يده صدري، وهو يقدم لي فنجان القهوة.

وبدا أنه يقوم بجميع الأعمال تقريباً في النزل، وبينما كانت عيناه تتفحصان جسدي، أخذ يشكو من كثرة العمل الذي يجب عليه إنجازه قبل إغلاق النزل.

وعرفت أن الزوجين يديران النزل لحساب صاحبه، وهو يدعى السيد (سانجينتي) وهو يملك عدداً من المنازل على طريق (كوهوس) ومقهى على الطريق الدولي رقم 9 عند مخرج يدعى (حصان طروادة) وقال:

- إذا أردت اللهو اذهبي إلى هذا المقهى، لكن من الأفضل ألا تذهبي بمفردك؛ كى لا تتعرضين للتحرش، وعندما أغادر النزل بعد اليوم الخامس عشر من هذا الشهر، اتصلي بي هاتفياً، سوف يسعدني أن أرافقك وأجعلك تتمتعين بوقتك.

شكرته، ثم أضفت إنني أقوم بمجرد جولة في المنطقة، وأنني سأذهب إلى الجنوب.

بعد قليل، وبينما كنت أتناول الطعام، جلس فانسي إلى مائدتي وأخذ يروي لي بعض مراحل حياته الكئيبة. وكان خلال حديثه يحشر بعض الأسئلة عن مشاريعي:

هل لدي أسرة؟ وهل أشعر بالضيق لبعدي عنها؟ وهل لدي أصدقاء في الولايات المتحدة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي بدت بريئة لا تدل سوى على فضول طبيعي.

وبعد أن انتهيت من الطعام، أشعلت سيجارة، أخذت أدخنها مع فنجان القهوة، بينما عاد فانسي إلى حيث تجلس زوجته، وراحا يتناقشان بصوت خافت، يتخلله بعض الضحك الخفيف.

وأخيراً اقتربت السيدة فانسي مني، وراحت تسأل على أحوالي بلطف. وبعد قليل سألتني: لماذا لا أستريح عدة أيام في النزل، وأكسب مع ذلك بعض المال؟

أخبرتني بأن موظفة الاستقبال تركت النزل قبل أربع وعشرين ساعة، وأنه ليس لديهما وقت للقيام بعملها، ثم عرضت عليّ أن أقوم بهذه الوظيفة خلال الأسبوعين الأخيرين من الموسم، وأتقاضى ثلاثين دولاراً في الأسبوع، بالإضافة إلى السكن والطعام.

وفى الحقيقة أن الستين دولاراً بالإضافة إلى المسكن والطعام مجاناً، كانت ستساعدني وقتها، فقد تجاوزت ميزانية الرحلة بخمسين دولاراً على الأقل، وهذا المبلغ سيعيد التوازن إلى ميزانيتي. لم أكن أشعر بميل كبير للزوجين فانسي، لكني قلت في نفسي: إنهما ليسا بأسوأ من الناس الذين أتوقع أن أقابلهم أثناء رحلاتي، بالإضافة إلى أن هذه أول وظيفة تعرض عليّ، شعرت بالفضول لمعرفة كيف سأستطيع القيام بها، ربما منحاني شهادة عند انتهاء العمل، تسهل عليّ البحث عن

عمل آخر في أي نزل قد أمر به خلال رحلتي إلى الجنوب.

وبعد أن ألقيت بضعة أسئلة مهذبة، أخبرتهما بموافقتي على العرض، بدا الرضا على الزوجين، وشرحت لي (ميليسنت) – وهو الاسم الذي أخذت أناديها به – كيفية تسجيل الزبائن، وعلمتني كيف أراقب الناس الذين يحملون أمتعة قليلة، وشرحت لي عمليات السرقة.

فتحت قضية السرقات هذه عيني على خبايا لم أكن أعرفها، يبدو أن هناك أناساً – خاصة الأزواج الجدد الذين يقومون بتأسيس بيوتهم – يقصدون إلى نزل بعيد، ولا يأخذون معهم سوى حقيبة واحدة، لا تحتوي هذه الحقيبة إلا على مجموعة من الأدوات، ولوحات مزيفة لسياراتهم التي يوقفونها أمام باب الغرفة التي يستأجرونها.

يدخل الشاب والفتاة إلى الغرفة، وينتظران انطفاء الأنوار في المكتب، ثم يبدآن في العمل بسرعة، حيث يقومان بتفكيك كل ما يمكن تفكيكه في الغرفة، بما في ذلك التليفزيون، وأدوات الحمام، والستائر، والأزرار، والمصابيح، وحتى مقعد المرحاض.

يعمل السارقان طبعاً في الظلام، مستخدمين بطاريات على شكل القلم، وعندما يصبح كل شيء جاهزاً، وحوالي الساعة الثانية صباحاً ينقلان المسروقات إلى السيارة القريبة، ثم يلفان السجاد ويغطيان به المسروقات، ويغيران لوحة السيارة ويرحلان في هدوء.

يكفي أن يقوما بعمليتين أو ثلاثة من هذا النوع؛ لكي يجهزا منزلهما الجديد.

قالت السيدة فانسي: إنه ليس لدى النزل أية وسيلة لمواجهة هذه العمليات، والأمل الوحيد هو الاشتباه بالسارقين عند تسجيلهما، وفي هذه الحالة يمكن طردهما، أو قضاء الليل في المراقبة، على أن يتزود المراقب بمسدس.

فى المدن يواجه النزل مشاكل أخرى، العاهرات اللاتي يأتين لممارسة مهنتهن، والقتلة الذين يتركون الجثث في الحمام، وأحياناً بعض عمليات السطو للاستيلاء على المال الموجود في الخزانة.

وطمأنتني السيدة فانسي، وقالت: إن عليّ ألا أقلق، ويكفي أن أستدعي (جيد)

– زوجها – إذا شعرت باحتمال حدوث متاعب، وأكدت لي أنه قادر على مواجهة اللصوص، وأن لديه مسدساً.

سارت الأمور سيراً جيداً، ولم يسبب لي عملي أي قلق، في الحقيقة كان العمل قليلاً حتى أني تساءلت: لماذا كلف الزوجان نفسيهما لاستخدامي؟

لكنهما كانا كسولين ولا يدفعان راتبي من جيبيهما، وأراهن أن (جيد) كان يعتقد أني صيد مناسب له، لكن حتى هذا لم يكن مشكلة، كان يكفي أن أتجنب يديه، وأصده ببرود مرة في اليوم، بالإضافة إلى وضع مقعد خلف باب غرفتي؛ لكي أمنعه من الدخول في الليل.

فى الأسبوع الأول جاءنا بعض العملاء لقضاء الليل، واكتشفت أن الزوجين يتوقعان مني أن أساعدهما في ترتيب النزل، ولم أهتم بذلك، خاصة وأن العملاء رحلوا الواحد تلو الآخر، وبعد العاشر من شهر أكتوبر، لم يعد لدينا أي زبون.

إن لتاريخ 15 أكتوبر قيمة سحرية في عالم العطلات، فكل شيء يغلق ما عدا المؤسسات الموجودة على جانبي الطرق الرئيسية، فهم يعتبرون هذا الموعد بداية الشتاء.

إن موسم الصيد يقترب، ولكن للصيادين الأغنياء نواديهم، ومخيماتهم الخاصة في الجبل، أما باقي الصيادين، فإنهم يذهبون بالسيارات إلى منطقة ينصبون فيها خيمتهم، ثم يقصدون الغابة عند الفجر، لقتل وعل أو أكثر.

على كل حال يختفي السياح في المنطقة في الخامس عشر من أكتوبر، ويصبح من الصعب كسب شيء من المال هناك.

ومع اقتراب موعد الإغلاق جرت مكالمات هاتفية كثيرة بين الزوجين فانسي، والسيد سانجينيتي، وبذلك فإنه في الحادي عشر من الشهر أخبرتني السيدة فانسي بأنها سترحل مع زوجها إلى بلدة (تروي) في اليوم الثالث عشر، وسألتني: هل لدي مانع في البقاء الليلة في النزل، وتسليم المفاتيح إلى السيد سانجينيتي، الذي سيأتي للإغلاق النهائي في اليوم الرابع عشر؟

بدا لي غريباً أن تترك مسئولية النزل لفتاة مجهولة، ولكنهما شرحا لي أنهما سيأخذان النقود الموجودة في الخزانة، مع سجل الزبائن، بالإضافة إلى الكميات الموجودة من المواد الغذائية والشراب، كل ما كان عليّ عمله هو إطفاء الأنوار، وإغلاق كل شيء بالمفتاح قبل الذهاب إلى النوم، وسيحضر السيد سنجينيتي في اليوم التالي، مع سيارات شحن لنقل باقي الأثاث، بعد ذلك يمكنني أن أستكمل رحلتي.

بدا السرور على السيدة فانسي عندما أبلغتها موافقتي، وقالت لي: إني فتاة طيبة، ولما سألتها: هل ستعطيني شهادة؟ بدا الارتباك عليها، وقالت إن هذا الأمر من شئون السيد سنجينيتي، ولكنها ستخبره إلى أي حد كنت جيدة.

مر اليوم الأخير في تجهيز الطرود، ووضعها في سيارة الزوجين، حتى لم يبق من المؤنة إلا بعض البيض، والخبز، واللبن، لي ولسائقي سيارات الشحن، الذين سيتناولون الطعام قبل رحيلهم.

توقعت أن يكون الزوجان لطيفين في اليوم الأخير، فقد تفاهمنا كثيراً، وبذلت مجهوداً خاصاً لتأدية جميع أنواع الخدمات لهما، ولكن ما حدث كان العكس، وقد بدا لي ذلك غريباً!

أخذت السيدة فانسي تُلقي إليّ الأوامر، كأنني خادمة، وزاد (جيد) من سوء تصرفه، وجرأته معي، فأخذ يستخدم كلمات قذرة، حتى عندما تكون زوجته قريبة، ويحاول مداعبتي، كلما مررت بالقرب منه.

لم أفهم سبب هذا التحول في المعاملة، وبلغ غيظي حداً دفعني للذهاب إلى السيدة فانسي؛ لأبلغها أني راحلة، وطلبت منها دفع حسابي. إلا أنها رفضت، وهي تضحك، وقالت: إن السيد سيجينيتي هو من سيدفع لي؛ لأنهما لا يريدان أن يجازفا بفقد بعض القطع الفضية، عندما يأتي صاحب النزل لاستلام الأثاث.

وبدلاً من الجلوس أمامهما لتناول العشاء، جهزت بعض السندوتشات، وذهبت إلى غرفتي وأنا أتمنى أن يأتي الصباح سريعاً، وأن يرحلا.

وكما قلت؛ رأيتهما يبتعدان عند الساعة السادسة، وهكذا بدأت ليلتي الأخيرة في النزل، وغداً سأعود إلى السفر، لقد قضيت بعض الوقت هنا، تعلمت خلاله أصول المهنة التي يمكنها أن تفيدني في المستقبل.

ونظرت إلى ساعتي، كانت قد بلغت التاسعة، وعادت الإذاعة تذيع نشرة أنباء العاصفة، وطمأنتني الأنباء إلى أني سأسير غداً على طرق جافة.

وشعرت بالجوع، فأشعلت الموقد الكهربائي ووضعت ثلاث بيضات في المقلاة.

وهنا دق الباب بشدة.

الفصل الثامن

ديناميت في بلاد الخوف

قفز قلبي بين ضلوعي.

من القادم؟ وتذكرت فجأة لوحة (غرف شاغرة) لقد أضأتها عند هبوب العاصفة، ونسيت أن أطفئها، يا لحماقتي!

وتكرر قرع الباب، هيا.. عليّ أن أواجه الطارق، وأعتذر له، وأرسله إلى (بحيرة جورج)، اقتربت بارتباك من الباب، وسحبت المزلاج، ثم فتحت بينما السلسلة في مكانها.

رأيت تحت الضوء الأحمر رجلين يرتديان معطفي مطر لامعين وغطائين للقبعات، وظهرت خلفهما سيارة سوداء، قال الرجل الأطول قامة بلهجة مهذبة:

- الآنسة ميشيل؟

- نعم أنا.. لكنني أضأت لوحة (غرف شاغرة) بالخطأ، إن النزل مغلق.

- بالطبع، نحن قادمان من طرف السيد سنجينيتي، فنحن من شركة التأمين، وقد جئنا لنضع قائمة سريعة بالأشياء الموجودة، قبل نقلها صباح الغد. هل يمكننا الدخول يا آنسة؟ سنظهر لك أوراقنا عندما نصبح بالداخل. إن الليلة فظيعة!

نظرت لهما، الواحد تلو الآخر، دون أن أشعر بالاطمئنان، لكن مظهرهما كان يبدو طبيعياً، وقلت لهما بعصبية:

- لكن الزوجين فانسي لم يبلغاني بأنكما قادمان.

- كان عليهما أن يفعلا ذلك يا آنسة، سوف أخبر السيد سنجينيتي بذلك.

والتفت إلى الرجل الواقف خلفه، وقال له:

- أليس كذلك يا سيد جونز؟

وأطلق هذا الأخير ضحكة خافتة وقال:

- طبعاً.. أنت على حق يا سيد تومبسون.

- فى هذه الحالة يا آنسة هل يمكننا الدخول؟ إن المطر مزعج في الخارج.

- لا أدري.. لقد أمراني بألا أدع أحداً يدخل، ولكن بما أنكما من طرف السيد سينجبنيتي....

وسحبت السلسلة، وفتحت الباب.

دخل الرجلان وهما يدفعاني أمامهما، ووقفا متجاورين يتفحصان القاعة الكبيرة، وأخذ السيد تومبسون يشم الهواء، ثم نظر لي بعينيه السوداوين الباردتين وسأل:

- هل تدخنين؟

- نعم.. قليلاً.. لماذا؟

انتزع مقبض الباب من يدي، وصفق الباب، ثم أغلقه بالمزلاج، ووضع السلسلة، بعدها خلع الرجلان معطفي المطر، والقياهما على الأرض، الآن بعد أن رأيتهما شعرت أني في خطر!

كان السيد تومبسون، الذي بدا لي أنه الزعيم، طويل القامة نحيلاً جداً، يكاد يشبه هيكلاً عظمياً، كانت بشرته رمادية مثل بشرة غريق، أو شخص قضى حياته في مكان مغلق.

كانت عيناه السوداوان تنتقلان ببطء دون فضول واضح، بينما شفتاه الرفيعتان الحمراوان بدتا مثل جرح لم يندمل تماماً، وعندما يتكلم كان يظهر انعكاس معدن أبيض على أحد أسنانه الأمامية، فكرت أنه يضع جسراً رخيصاً من الفولاذ كالذي يستخدمونه في روسيا واليابان، كانت أذناه مسطحتين كثيراً، وشبه ملتصقتين برأسه، أما شعره الأسود فكان مقصوصاً بشكل قصير جداً، حتى أن جلد رأسه كان ظاهراً.

وبينما كان هذا الرجل مخيف الهيئة، كان الآخر كريهاً؛ إنه شاب ذو وجه مستدير،

وعينين زرقاوين دامعتين، وشفتين سميكتين رطبتين، ولاحظت عند رؤية بشرته البيضاء جداً، أنه مصاب بذلك الداء الذي يسقط كل الشعر من الجسم، فهو بدون حاجبين أو رموش، كما أن رأسه كان أملس لامعاً مثل كرة البلياردو، ولو لم أكن خائفة لشعرت بالشفقة عليه، خاصة وأنه بدا مصاباً بالرشح.

وهنا تمنيت لو لم أكن أرتدي ملابس تجعلني أبدو شبه عارية.

بدا على الشاب كأنه يراني للمرة الأولى، أخذ يتفحصني وهو يبتسم، ثم دار حولي، وتراجع خطوتين، وهو يطلق صفيراً طويلاً، ويغمز بعينه قائلاً:

- ما رأيك يا عفريت؟ إنها فتاة جميلة. انظر إلى بروزاتها.

- ليس الآن يا (سلاجسي)، لاحقاً. لندخل ونلق نظرة على الغرف، وأثناء ذلك ستجهز لنا الآنسة بعض الأكل. كيف تريد البيض المقلي؟

- مخفوقاً يا حلوة كما تصنعه أمي، وإلا سيعطيك بابا علقة ساخنة.

أدى بضع خطوات راقصة، وهو يقترب مني، بينما بدأت ابتعد نحو الباب، وقد بالغت في إظهار الحزن. وعندما أصبح قريباً مني صفعته فجأة بكل قوتي.

وقبل أن يتلاشى أثر المفاجأة، اختبأت خلف إحدى الموائد، وأمسكت مقعداً معدنياً صغيراً، ووجهت قوائمه نحوه.

أطلق الرجل النحيف ضحكة مثل النباح، وهو يقول:

- دعك من هذا يا سلاجسي، قلت لك لاحقاً، اتركها وشأنها، أمامك الليلة كلها. هيا.

حك الرجل خده، وانفرجت شفتاه قليلاً، وهو يقول:

- تعرفين يا حلوة؟ لقد حصلت على ليلة عاصفة. ستكون ليلة طويلة وبطيئة، وستكرر إلى الأبد. هل فهمت؟

ظللت احتمي خلف المقعد، وأنا أتفحصهما، ثم قلت محافظة على هدوء صوتي:

- من أنتما؟ وما معنى هذا؟ أريد أن أرى أوراقكما. سأكسر زجاج إحدى النوافذ عند

مرور أول سيارة، وسأستغيث. انا كندية. حاولا ألا تؤذيانى، وإلا ستواجهان المتاعب غداً.

قال سلاجسي وهو يضحك:

- الغد هو الغد، عليك أن تهتمي بما سيحدث هذه الليلة يا صغيرتي. ربما كان علينا أن نفهمها يا عفريت، فقد يجعلها ذلك أكثر طاعة.

نظر (العفريت) لي بعيون باردة وقال:

- كان عليك ألا تضربي سلاجسي. إنه عنيد، ولا يحب أن تعتدي عليه النساء. أعتقد أن السبب هو مظهره، فقد أصبح هكذا منذ قضائه مدة في الحبس الانفرادي بالسجن. إنه مرض عصبى.

أضاف سلاجسي:

- هذا المرض يمنع نمو الشعر. تفهمين هذا؟

تابع العفريت:

- هذا يجعل سلاجسي يغضب بسهولة. فهو ناقم على المجتمع. ولو كنتِ مثله فلن يكون إحساسك مختلفاً. إنه من المأجورين الذين يستخدمهم الأشخاص الذين يريدون فعل شيء لا يرغبون في القيام به بأنفسهم. إنه من مستخدمي السيد سانجينتي الذي وجد أنه من الأفضل أن نحضر إلى هنا، حتى تصل سيارات الشحن. فهو لا يحب أن تظل فتاة مثلك وحيدة طوال الليل. لذلك أرسلنا حتى نرافقك، أليس كذلك يا سلاجسي؟

أجاب سلاجسي وهو يضحك:

- صحيح، أتينا لمرافقتك، ربما هاجمك ذئب لئيم. إن جسدك هذا يجعلك في حاجة ماسة إلى الحماية.

تركت المقعد فوق المائدة وقلت:

- ما اسمكما؟ وأين أوراقكما؟

كان على الرف علبة قهوة. استدار سلاجسي فجأة، وأخذت يده اليمنى تبصق ناراً (لم ألاحظ أنه كان يحمل مسدساً) وفي نفس اللحظة، قفزت العلبة، ثم سقطت، لكن قبل أن تصل إلى الأرض كان سلاجسي قد أصابها برصاصة أخرى، جعلت البن يتناثر منها.

التفت سلاجسي إليّ وقد اختفى المسدس من يده، بان السرور عليه لأنه استعرض أمامي براعته في اطلاق النار قال:

- ما رأيك بهذه الأوراق؟

كانت ساقاي ترتجفان، لكني قلت بازدراء:

- لقد أفسدت البن. هيا.. ما اسمكما؟

قال الرجل النحيف:

- إنها على حق. كان عليك ألا تفسد كل هذا البن يا سلاجسي. إنه يدعى سلاجسي مورانت، وأنا (سول هور) إنهم يلقبونني بالعفريت، ولا أعرف لماذا. هل تعرف السبب يا سلاجسي؟

أجاب سلاجسي بضحكة خافتة:

- ربما لأنك أصبت رجلاً بجرح خبيث، وربما لأنك أصبت عدداً كبيراً من الأشخاص، عموماً هذا ما قيل لي.

قال العفريت بهدوء:

- كفى. والآن هيا بنا نفحص الغرف. أما أنتِ فعليك إعداد الأكل، لكن إياكِ أن تقومي بأية محاولة، وإلا واجهت عقاباً عنيفاً. هل فهمتِ؟

نظر لي سلاجسي بخبث وقال:

- لم تفهم كثيراً، أليس كذلك يا صغيرتي؟

تحرك إلى مكتب الاستقبال، وأخذ كل المفاتيح، ثم خرج من الباب الخلفي.

عبرت الغرفة للذهاب خلف البار، وأنا أدرك تماماً، التأثير الذي يسببه بنطلوني الضيق. في نفس الوقت توجه عفريت إلى المائدة الأبعد، وجذب مقعداً، وجلس عليه. راقبني للحظات، ثم قال:

- أريد بيضاً مخفوقاً أنا أيضًا. مع كثير من البيكون. ماذا ستفعلين بالقهوة؟

- سأجمع ما تبقى من بن.

انحنيت خلف البار. كان هناك أربعة ثقوب في العلبة، لم يبق بها غير ثلاثة سنتيمترات من البن، بينما تناثر الباقي على الأرض.

وضعت العلبة جانباً ثم جمعت البن المتناثر في طبق، دون أن اهتم بالتراب الذي اختلط به. سوف احتفظ لنفسي بالبن النظيف في العلبة.

قمت بذلك في حوالي خمس دقائق، وأنا أفكر بيأس، أحاول أن أرسم خطة للنجاة. هذان الرجلان مجرمان، وهما يعملان لحساب السيد سانجينتي، هذا واضح فهما يعرفان اسمي، الذي لم يكن يعرفه غير سانجينتي والزوجان فانسي.

لقد أرسلا إلى هنا بالرغم من العاصفة لهدف ما، لكن ما هو؟

إنهما يعرفان أني كندية، أي أجنبية، وأنه في استطاعتي أن ألجأ في الغد إلى الشرطة، وأن أسبب المتاعب لهما.

لقد كان سلاجسي في السجن، ماذا عن الآخر؟ لون بشرته يدل على أنه هو أيضاً قضى مدة في السجن.

إذن يمكن أن أوقعهما في مأزق حرج، وأخبر الشرطة أنني صحفية، وأنني سأكتب مقالاً عما يحدث للفتيات في أمريكا. لكن هل سيصدقونني؟

هناك لافتة (غرف شاغرة) مضاءة. لقد كنت وحدي، ومع ذلك فقد أضأتها. هل سيخمنون بسبب ذلك إنني كنت أرغب في اجتذاب رفيق ما؟ ربما يتساءلون لماذا

ارتديت ملابس مغربية، إذا كانت رغبتي هي الوحدة؟

عدت للتفكير في مشكلتي الحالية: ماذا يريد هذان الرجلان؟ إن لديهما سيارة عادية، إذا رغبا في نقل الأثاث لأحضرا سيارة شحن. ربما أرسلهما فعلاً لحراسة المنزل، وربما عاملاني بهذه الطريقة لأن هذا تصرف طبيعي للأشقياء. لكن إلى أي حد سيسوء الحال؟ ماذا سيحدث لي هذه الليلة؟

قمت من خلف البار ورحت أجهز الطعام. الأفضل أن أقدم لهما ما طلباه حتى لا يصبح لديهما أي سبب لإساءة معاملتي.

وجدت مريلة مطبخ ملفوفة في إحدى الزوايا، فأخذتها وربطها حول خصري. الآن أحتاج إلى سلاح. كان هناك مكسر للثلج في درج أدوات المائدة، وسكين طويل حاد جداً.

أخذت مكسر الثلج ودسسته تحت حزام سروالي، وأسدلت المريلة فوقه. أما السكين فقد أخفيته تحت منشفة بجوار المغسلة، ثم تركت درج أدوات المائدة مفتوحاً، وصففت مجموعة من الفناجين إلى جواره.

إنها أسلحة صبيانية، لكن لم يكن عندي بديل. كنت بين لحظة وأخرى ألقي نظرة عبر الغرفة. كانت عينا الرجل النحيف لا تفارقني. إنه مجرم عتيد، لذلك بدا لي أنه يدرك ما أفكر فيه من وسائل للدفاع جهزتها، ورغم ذلك أكملت استعداداتي، وأنا أقول في نفسي:

«عندما يبدآن في ضربي، وأنا واثقة أنهما ينويان هذا، يجب أن أرد عليهما بأية وسيلة. وإذا أمسكا بي، واغتصباني، وقتلاني، يجب ألا يتم هذا بسهولة».

اغتصاب؟ وقتل؟ أنا أجهل ما سيحدث لي تماماً. كل ما أعرفه أني في وضع بائس. أشعر أنهما يخفيان شيئاً ما ضدي، لكن ما هو؟

كسرت ثمان بيضات، وخفقتها قليلاً. ووضعت قطعة كبيرة من الزبد لتذوب في الوعاء، بينما أقوم بقلي كمية كبيرة من البيكون في مقلاة.

صببت البيض في الوعاء، وأخذت أحركه، وبينما كانت يداي تتحركان،كان عقلى يعمل بسرعة. إن كل شيء يتوقف على؛

«هل سيفكر سلاجسي عندما يعود من جولته التفتيشية أن يغلق الباب خلفه؟ أم لا؟

إذا لم يغلقه فسيمكنني أن أصل إليه بقفزة واحدة. ولا مجال لاستخدام الدراجة النارية، فهي لم تعمل منذ أسبوع، وسأحتاج إلى وقت لإدارة محركها.

يجب أن أترك كل ما أملكه بما في ذلك نقودي، وأن أركض كالأرنب إلى اليسار، أو إلى اليمين، لأتوغل في الغابة.

وتذكرت البحيرة الموجودة خلف الغرف، وقررت أن اتجه إلى اليسار، لأنني سأجد أمامي كيلو مترات من الغابة.

البيض أصبح جاهزاً، نقلته إلى أحد الأطباق، وأضفت له البيكون، ووضعت الخبز المحمص في طبق آخر، وإلى جواره طبق الزبدة.

شعرت بالسعادة عندما كنت أصب الماء المغلي على القهوة، ورأيت الغبار يتطايرا وراودني أمل خاطف بأن يخنقهما هذا الغبار.

ثم خرجت من خلف البار، وحملت الطعام إلى المائدة التي كان الرجل النحيف يجلس خلفها.

فى هذه اللحظة، سمعت الباب يُفتح، ثم يُغلق، لكني لم أسمع صوت المزلاج. القيت نظرة سريعة حولي. كانت يدا سلاجسي فارغتين.

أخذ قلبي يدق بسرعة. اقترب سلاجسي من المائدة، وألقى نظرة على الطعام، ثم تسلل بهدوء خلفي وأحاطني بذراعيه بينما كان يدفن وجهه الكريه في عنقي ويقول:

- تماماً كما كانت أمى تصنعه. ما رأيك أن نعيش سوياً؟ إذا كنتِ تجيدين كل شيء كما تجيدين الطهي، فأنتِ فتاة أحلامي. ما رأيك يا صغيرتي؟ هل اتفقنا؟

كانت يدي على إبريق القهوة، وهممت بأن أرميه بالسائل الحار من فوق كتفي، أدرك العفريت ما أفكر فيه، فقال بحدة:

- اتركها فوراً يا سلاجسي. سأشرح لك لاحقاً.

كان لهذه الكلمات وقع الكرباج، تركني سلاجسي فوراً، بينما قال الرجل النحيف:

- كانت ستسلق وجهك. عليك أن تراقب هذه الفتاة. وتوقف عن هذه التصرفات. هيا اجلس. لدينا عمل.

استجاب سلاجسي وهو يقول:

- لدي قلب يا رفيقي. أريد أن أتذوق هذه الفتاة، وأريد هذا في الحال.

لم يمنعه هذا من أن يجذب مقعداً ويجلس عليه، بينما كنت أبتعد بسرعة. كان التليفزيون بجانب الباب الخلفي، وكان يعمل بصوت منخفض، اقتربت منه وأخذت أعبث بالأزرار ثم رفعت صوته.

كان الرجلان يتكلمان بهدوء. هذه فرصتي الوحيدة.

حسبت المسافة التي تفصلني عن الباب، واندفعت مسرعة جهة اليسار.

الفصل التاسع
وبدأت أصرخ

سمعت صوت رصاصة تصطدم بإحدى مفصلات الباب المعدنية، لكني أخذت أجري بجنون، وأنا أمسك بمكسر الثلج، حتى لا أجرح نفسي.

كان المطر قد توقف لحسن الحظ، لكن الحشائش كانت مبتلة مما جعلني أتعثر، وأدركت أنني لا أبتعد بسرعة كافية. وسمعت صوت الباب يُفتح خلفي بعنف وصوت سلاجسي يصرخ:

- توقفي وإلا قتلتك.

لكنني تابعت الركض بخطوات متعرجة، لكن الرصاص كان يأتيني بشكل يزداد دقة. كان يمر بجانبي بصفير رفيع، ثم يختفي في الظلام. بعد عشرة أمتار سأدور حول الغرف، وأخرج إلى منطقة مضاءة.

تابعت الركض وأنا أرتجف كأن الرصاصة التالية ستصيبني، تطاير زجاج نافذة الغرفة الأخيرة، في اللحظة التي كنت أدور فيها حول المبنى، وتوغلت في الغابة، في نفس اللحظة سمعت صوت محرك يدور. لماذا؟

كان التقدم صعباً جداً، فالأشجار المبتلة متلاصقة وأغصانها متشابكة. كان الظلام حالكاً يمنعني من الرؤية إلى أبعد من متر أمامي.

وفجأة أدركت لماذا أدير محرك السيارة، لقد أُضيء مصباحاها الكاشفان، بحيث كشفا مكاني بين الأشجار وظلا مثبتين عليّ، كلما كنت أحاول الهرب من هاتين العينين الباحثتين، كنت أسمع صوت السيارة تدور ثم أجد الضوء يلاحقني باستمرار.

لم يكن هناك مكان لأغير اتجاهي، فكنت مضطرة إلى التحرك للأمام في الاتجاه الوحيد الذي تسمح لي الأشجار أن أسلكه. متى سيستأنفان إطلاق النار؟

توغلت لحوالي ثلاثين متراً في الغابة، ولم يبق أمامي مسافة طويلة، أخذت أنفاسي تخرج من صدري متقطعة، تمزقت ملابسي وأصيبت قدماي بجروح.

أدركت أني أستطيع التحمل مدة أطول، لم يتبق سوى أمر واحد: أن اجتاز شجرة ضخمة لأحاول الهروب من المصباحين، والزحف تحت الشجرة، ثم الاختباء هناك.

لكن لماذا لا يطلقان النار؟

ابتعدت وانا أتعثر تجاه اليمين إلى منطقة مظلمة، وسقطت على ركبتي. كانت شجرة كباقي الأشجار تصل أغصانها إلى الأرض، زحفت تحتها والتصقت بجذعها. وانتظرت حتى تهدأ دقات قلبى، ويعود تنفسي إلى حالته الطبيعية.

سمعت أحد الرجلين يبحث عني، لم يكن يتحرك في صمت – فهذا مستحيل – لكنه كان يتوقف بين لحظة وأخرى، وينصت.

لا شك أنه أدرك – بعد أن هدأت حركتي – أنني جالسة على الأرض. أنا واثقة أنه سيجدني بعد قليل. تحركت حول جذع الشجرة، حتى أصبحت في الجهة المقابلة لاتجاه مجيئه، ورحت أتطلع إلى مصباحي السيارة اللذين كان نورهما مثبتاً فوق رأسي على الأغصان المبتلة.

اقترب صوت الأقدام مع صوت تكسر الأغصان، وأصبحت أسمع صوت تنفسه، وفجأة سمعت سلاجسي يقول قريباً مني:

- تعالي يا صغيرتي، وإلا سيضربك بابا علقة ساخنة. لقد انتهى وقت اللعب، وحان وقت العودة للبيت.

أضاء سلاجسي مصباحاً، وأخذ يبحث عني، من شجرة إلى أخرى. كان واثقاً أنني على بعد بضعة أمتار منه، وفجأة توقف الضوء عن الحركة، وظل مثبتاً على شجرتي. قال سلاجسي:

- لقد وجدك بابا.

هل هذا صحيح؟ ظللت مسمرة، وأنا أكاد لا أجرؤ على التنفس. عندها أطلق النار فاصطدمت الرصاصة بجذع الشجرة خلف رأسي، وقال:

- هذا مجرد تحذير. في المرة القادمة سأصيب قدميك.

وهكذا انتهت محاولتي للهرب، قلت وأنا أرتعش:

- سأحضر، لا تطلق النار.

خرجت زاحفة وأنا أقول لنفسي:

«إنها طريقة جميلة للذهاب إلى الإعدام يا صغيرتي»!

كان يقف مبتسماً وهو يصوب مسدسه نحوي، أشار بيده وقال:

- تحركي أمامي. إذا توقفت ستحصلين على رصاصة في ظهرك.

تحركت بخجل وأنا أتعثر في كل خطوة في اتجاه السيارة. كان اليأس يخنقني. ماذا فعلت لأستحق هذا كله؟ لماذا اختارني الرب لأكون ضحية لهذين الرجلين المجهولين؟ سوف يغضبان كثيراً الآن وسيسيئان معاملتي، ثم يقتلاني. لكن الشرطة ستعثر على الرصاص في جثتي.

ما هي العملية الإجرامية التي يقومان بها حتى لا يبقى هناك أهمية لبقاء مثل هذا الدليل في جثتي؟

مهما كانت الجريمة فإنهما واثقان بأنه لن يبقى أثر لكل هذا، فلن يبقى لفيفيان ميشيل وجود!

سوف يدفناني أو يلقياني في البحيرة بعد أن يربطا حجراً في عنقي.

عبرت حافة الغابة، وخرج الرجل النحيف من السيارة، وقال لسلاجسي:

- حسناً، أحضرها ولا تسئ لها، فأنا أحتفظ بها لنفسي!

ثم أدار محرك السيارة، وتحرك بها إلى الخلف. اقترب سلاجسي مني، ومد يده يداعبني بجرأة، ووقاحة، فقلت له:

- لا تفعل.

لم يكن عندي إرادة كافية للمقاومة، قال:

- أنتِ في ورطة محرجة يا صغيرتي. رفيقي يعرف ما يفعل. سوف يؤذيك كثيراً، لكن إذا وافقت أن تكوني لطيفة معي هذه الليلة، فقد أستطيع إنقاذك. ما رأيك؟

استجمعت كل ما تبقى عندي من مقاومة وأجبته:

- أفضل الموت على أن أتركك تلمسني.

- حسناً يا عزيزتي. أنتِ لن تعطيني ما أطلب، لكني سأناله بالقوة. أعترف أنك تستحقين ليلة متعبة. هل فهمتِ؟

قرصني بقوة حتى صحت بألم. أطلق ضحكة مرحة وقال:

- حسناً يا صغيرتي. ابدئي في الغناء، عليك أن تتدربي منذ الآن.

أدخلني من الباب الخلفي الذي كان مفتوحاً، ثم دفعني إلى البهو، وأغلق الباب بالمزلاج.

كانت الغرفة على الحالة التي تركتها، فالأنوار مضاءة، والراديو مفتوح، تصدر عنه موسيقى مرحة، وتذكرت كم كنت سعيدة في هذه الغرفة منذ بضع ساعات!

وفكرت في الذكريات التي استعدتها وأنا جالسة على هذا المقعد. ذكريات بعضها جميل، والآخر حزين. كم أصبحت متاعبي تبدو صبيانية سخيفة! كم كان سخيفاً الكلام عن قلب محطم، وشباب هارب، في الوقت الذي يبرز فيه هذان الرجلان أمامي من قلب الظلام.

أصبح حادث السينما مجرد فصل في رواية هزلية. أما زيورخ فبدت لي أنها جثة!

كان العفريت واقفاً وسط الغرفة، وقد تدلت ذراعاه إلى جانبيه، وعندما دخلت عنده رفع يده اليمنى، وأشار بإصبعه أن أقترب. قادتني قدماى الممزقتان إليه، وعندما أصبحت على بُعد بضعة أمتار منه، خرجت من ذهولي، وتذكرت شيئاً، ارتفعت يداي إلى حزام سروالي وتحسست مكسر الثلج. سيكون من الصعب عليّ أن أخرجه، وأن أجد مقبضه.

وقفت أمامه، دون أن يتوقف عن التطلع في عيني، اندفعت يده اليمنى، وصفعتني

مرة، واثنتين، يمنة ويسرة، تطاير الدمع من عيني، لكنني انحنيت لأتجنب الصفعة التالية، وانتهزت فرصة هذه الحركة فدسست يديّ في حزام سروالي، ثم انتصبت وهجمت عليه ووجهت ضربة عنيفة في اتجاه رأسه.

وصل السلاح إلى هدفه، لكن سرعان ما شعرت بيدين تمسكان بذراعي، وتجذباني إلى الوراء.

كان الدم يسيل على الوجه الشاحب من جرح فوق الصدغ، وبينما كنت أنظر وصل الدم إلى ذقنه، لكن بقي الوجه جامداً، ولم يظهر عليه أي دليل على الألم، لكن نظرة وحشية بدت في العينين السوداوين.

اقترب الرجل النحيف مني، وفتحت يديّ، وتركت السلاح يسقط منها. كنت كالطفل الذي يُلقي سلاحه ويستسلم.

وبدأ العفريت يضربني ببطء، مرة بيده مفتوحة، ومرة بقبضة يده، وهو يختار أهدافه بقسوة ووحشية. كنت في البداية أستدير، وانحني، وأوجه الركلات له، ثم انطلقت أصرخ، بينما كانت العينان السوداوان لا تكفان عن مراقبتي، واليدان ترتفعان وتهبطان عليّ باستمرار.

***

عندما عدت إلى وعيي، وجدت نفسي تحت الدش في حمام غرفتي. ممددة عارية على الأرض، وبجانبي بقايا ثيابي القذرة الممزقة.

كان سلاجسي مستنداً إلى الجدار، واضعاً يده على صنبور الماء البارد، أغلقه، فنهضت بصعوبة على ركبتيّ. كنت كالحيوان المروض، أبكي وأنا مستعدة للموت، شعرت بالغثيان، فتقيأت.

ضحك سلاجسي، ثم انحنى، وربت على ظهري وقال:

- هيا. هذا يصيب كل من هم في حالتك. والآن نظفي نفسك، وارتدي فستاناً نظيفاً وتعالي. إن محاولتك الهرب جعلت البيض يبرد، لكن إياكِ أن تعودي إلى ذلك. سوف

أراقب الغرفة من الباب الخلفي. لا تقلقي فلا يوجد دماء، بعض خدوش فقط. إن العفريت خبير في معاملة النساء. أنتِ محظوظة، فلو كان مجنوناً فعلاً لكنا الآن نحفر قبراً لدفنك فيه. يجب أن تشكري الله.

ثم خرج وأغلق الباب خلفه.

قضيت نصف ساعة في العناية بنفسي، وفي كل لحظة كنت أشعر بإغراء أن ألقي بنفسي على السرير، وأترك العنان لدموعي، حتى تأتي اللحظة التي يحضر فيها هذان الرجلان، ليقضيا عليّ بمسدسيهما.

لكن الرغبة في الحياة عادت لي، وأنا أقوم بترتيب شعري، وارتداء ملابسي. وشيئاً فشيئاً أخذت أحس بأن المرحلة الأسوأ قد مرت، وإلا، لماذا ما زلت على قيد الحياة؟ هناك سبب يجعل هذين الرجلين يريداني حية لا ميتة.

سلاجسي بارع للغاية في الرماية، ولا شك بأنه كان يقدر أن يقتلني عندما حاولت الهرب.

ارتديت بذلة راكبي الدراجات، ووضعت نقودي احتياطياً في أحد الجيوب، لكن احتياطي لأي شيء؟ لن تسنح لي فرصة للهرب. وهكذا جررت نفسي كالقطة المريضة إلى البهو.

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة، وقد عاد المطر إلى النزول. وبين حين وآخر كان القمر يبزغ من بين السحب، ثم ما يلبث أن يختفي. وجدت سلاجسي واقفاً يراقبني، وعندما وصلت، ابتعد عن طريقي وقال:

- لقد عدت إلى حالتك الطبيعية. بالطبع هناك قليل من الخدوش، وأعتقد أن عليك أن تستلقي على ظهرك، أليس كذلك؟ لكن هذا ما تحتاجين إليه فعلاً، ألا توافقينني؟

عندما لم أرد أمسك بذراعي وقال:

- هذا سلوك غير لائق يا حلوة. ربما أنتِ بحاجة لأن أتولى الجانب الآخر منك. أنا مستعد لذلك.

قال هذا مع حركة تهديد من يده.

- آسفة، لكني لم أجد ما أقوله.

- إذن، لا بأس.

تركني أتحرك وهو يتابع:

- الآن ارجعي إلى عملك، وإياك أن تعودي إلى مهاجمتي، أنا والعفريت. انظري ماذا فعلت بوجهه الجميل؟

كان الرجل النحيف يجلس إلى نفس المائدة، وكان صندوق الإسعافات الأولية مفتوحاً أمامه، وقد وضع ضمادة على خده الأيمن.

ألقيت نظرة خائفة سريعة عليه، ثم لجأت إلى وراء البار. اقترب سلاجسي منه، وجلس، ثم أخذا يتحدثان بصوت منخفض، وهما ينظران إليّ بين الحين والآخر.

كنت جائعة، وقد استغربت هذا، فمنذ وصولهما بلغ بي الخوف أني لم استطع حتى أن أشرب فنجان قهوة، لكني أشعر الآن بالجوع. الغريب أني اكتشفت أن العلقة التي نلتها هدأت أعصابي. كنت ما أزال خائفة، ومذعورة. لكن بشكل هادئ.

جهزت لنفسي بيضًا، وقهوة، وبعض الخبز المحمص، مع الزبدة. وبعد أن قدمت الطعام للرجلين، جلست خلف البار، في مكان لا يرياني فيه، وتناولت طعامي.

بعدها أشعلت سيجارة، لكني أدركت – في نفس اللحظة – أني أخطأت، فهذا سيلفت انتباههما، وسيبدو أني قد استعدت قواي، وسيشجعهما ذلك على ضربي من جديد.

بعد دقيقة توقف الرجلان عن الحديث، وسمعت صوت مقعد يتحرك من مكانه. أصابني الذعر، فرميت سيجارتي في فنجان القهوة، ونهضت، وفتحت الحنفيات، وأخذت أشغل نفسي بغسل الأواني.

لم أنظر خلفي، لكني لمحت سلاجسي بطرف عيني يجتاز الغرفة. وصل إلى البار، فانحنى ووضع عليه صندوق مناديل الورق، ثم أخذ قبضة من الورق، ومسح بها

أنفه، ثم ألقاها على الأرض، ثم قال بصوت رقيق:

- لقد تسببت عندما خرجتِ لإصابتي بالرشح. أتعرفين ماذا يفعل هذا المرض الذي يقتل الشعر؟ إنه يقضي على شعر الأنف. أتعرفين نتيجة هذا؟ إنه يجعل الأنف يرشح عندما أصاب بالبرد. وقد كنت أنتِ السبب في إصابتي بالبرد. هذا يعني أنني يجب أن أستخدم صندوقا من مناديل الورق كل يوم. هل فكرتِ بهذا؟ هل فكرت بالأشخاص الذين لا يوجد شعر في أنوفهم؟

وفجأة غامت عيناه غضباً وصاح:

- أنتن جميعاً هكذا. لا تفكرن إلا بأنفسكن. أما الرجال الذين لديهم متاعب، فليذهبوا إلى الحجيم.

بدأت أتكلم بهدوء:

- أنا آسفة، لأنّ لديك متاعب. لماذا لا تشعر بالأسف لأن لدي أنا أيضاً متاعب؟

ارتفع صوتي وأنا أقول بعنف:

- لماذا أتيتما إلى هنا لإيذائي؟ ماذا فعلت لكما؟ لماذا لا تتركاني أرحل؟ إذا قمتما بذلك، أعدكما ألا أخبر أحداً، لدي بعض المال، يمكنني أن أعطيكما بعضاً منه، سأعطيكما مائتي دولار. لا يمكنني أن أتخلى عن مبلغ أكبر، لأن عليّ أن أصل إلى فلوريدا. أرجوك، هل ستتركني أرحل؟

أطلق ضحكة صاخبة، ثم التفت إلى الرجل النحيف وقال:

- تعال. اترك منديلك يا عفريت. إنها تقول إنها ستعطينا مائتي دولار إذا تركناها ترحل.

هز الرجل النحيف كتفيه ولم يتكلم، بينما التفت سلاجسي إليّ وقال وقد بدت القسوة في عينيه:

- حاولي أن تفهمي يا حلوة. أنت بطلة هذه المسرحية. يجب أن تشعري بالفخر؛ لأن رجالاً مثلي، ومثل العفريت، ومثل سانجينتي يهتمون بك.

- أي مسرحية؟ وأي دور سأقوم به؟

- سوف تعرفين صباح الغد. وفي انتظار ذلك ما رأيك بأن تسكتي تماماً؟ إن الموسيقى جميلة. ما رأيك أن نرقص؟ ثم بعدها نذهب معاً إلى الغرفة. تعالي.

مد ذراعيه إليّ وهو يقوم بخطوات راقصة سريعة. قلت له:

- آسفة. أنا متعبة للغاية.

عاد سلاجسي للاقتراب من البار، وهو يقول:

- يا لك من وقحة! سوف أجعلك متعبة فعلاً.

وفجأة ظهرت في يده هراوة من الجلد الأسود، وجه ضربة إلى البار، فترك علامة في الخشب، ثم أخذ يدور بهدوء خلف البار، وقد ثبت عينيه في عينيّ.

تراجعت إلى أبعد زاوية. سيكون هذا هو عملي الأخير. يجب أن أضربه قبل أن يلمسني. اصطدمت يدي بدرج الأواني الفضية المفتوح، وفجأة انحنيت ورميته بكل محتويات الدرج دفعة واحدة.

لم يستطع الابتعاد بسرعة وتطايرت السكاكين والشوك حول رأسه، وضع يده أمام وجهه وتراجع وهو يشتم. رميته بعدد آخر من أدوات المائدة، لكن السكاكين كانت تتطاير حول رأسه الذي أخفاه بين كفيه.

عبر الرجل النحيف الغرفة بسرعة، بينما أمسكت بالسكين واندفعت إلى سلاجسي، لكنه لمحني فاختبأ خلف إحدى الموائد.

خلع العفريت سترته ببطء، ولفها حول ذراعه الأيسر، ثم حمل كل منهما مقعداً، رفعه أمامه ثم هجما عليّ من الجانبين مرة واحدة.

أصبت ذراع أحدهما بجرح بسيط، ثم سقط السكين من يدي، ولم أجد إلا العودة إلى خلف البار. تبعني سلاجسي وهو يحمل المقعد، وبينما التفت إليه وأنا أحمل طبقاً في كل يد، انحنى الرجل النحيف، وأمسك بشعري.

ألقيت الطبقين في الاتجاهين، لكنهما تحطما على الأرض. عندئذ جذب الرجل النحيف رأسي، وثبته على البار، بينما هجم سلاجسي عليّ وهو يصرخ:

- حسنا يا عفريت. اتركها، إنها لي.

شعرت بذراعيه القويتين تحيطان بجسدي، بينما التصق وجهه بوجهي، وأخذ يقبلني، وامتدت يده إلى سوستة ملابسي لفتحها.

وفى هذه اللحظة ارتفع رنين جرس الباب الرئيسي. تجمد الجميع في أماكنهم بذهول.

الجزء الثالث:

هو

الفصل العاشر

من القادم؟

- ما هذا؟ من القادم؟

قفز سلاجسي للخلف، وهو يدس يده داخل سترته الجلدية. كان العفريت أول من أفاق من المفاجأة، ارتسمت ابتسامة باردة على شفتيه وقال:

- قف خلف الباب يا سلاجسي، ولا تطلق النار إلا إذا أمرتك.

ثم التفت إليّ، وقال:

- أما أنتِ فحاولي أن تُحسني التصرف. ستقومين بتقديمنا، وإذا لم تحسني فعل ذلك فسنقتلك، هل فهمت؟ الآن اذهبي إلى الباب، وانظري من القادم؟ قولي له نفس ما قلته لنا. لن يصيبك أذى إذا نفذت أوامري، واغلقي هذه السوستة بسرعة.

كنت أكافح من السوستة لرفعها، لكنها كانت عالقة.

- هيا، أمسكي أطراف ملابسك وأجمعيها أمام صدرك، سأكون خلفك، وتذكري أن كلمة واحدة منك معناها موتك، وموت هذا القادم.

كان قلبي يخفق بقوة على كل حال، ومهما حدث فسوف أحاول النجاة من هذا المأزق. قُرع الباب بشدة، واقتربت وأنا أمسك بأطراف ملابسي. كنت أعرف ما هو أول شيء سأفعله.

عندما وصلت إلى الباب وقف سلاجسي بجانبه، وجذب المزلاج. أصبح كل شيء الآن معتمداً على سرعة يديّ.

أمسكت بمقبض الباب باليد اليسري، وبينما كنت أديره، افلتت يديّ اليمنى

ملابسي وانتزعت السلسلة من مكانها بسرعة.

سمعت خلفي سبةً بصوت خافت، وشعرت بالمسدس يغوص في ظهري، لكني كنت قد جذبت الباب فجأة، وفتحته على مصراعيه مجبرة سلاجسي على الالتصاق بالجدار.

كنت أعتمد على فكرة أنهما لن يطلقا النار؛ لأنهما لا يعرفان هل القادم من الشرطة، أو أنها إحدى دوريات مراقبة الطرق. بالفعل لم يطلقا النار. أما الآن فأصبح كل شيء متوقفاً على الرجل الواقف على العتبة.

بعد النظرة الأولى قلت في نفسي:

«يا إلهي! إنه واحد منهما، رجل عصابات مثلهما».

كان يقف بهدوء واثق، يوحي مظهره بالخطر. كان يرتدي الملابس التي صنعت منها السينما الزيَ الخاص برجال العصابات: معطف مطر كحلي اللون له حزام، وقبعة سوداء.

رفعت يديّ بسرعة لأغطي صدري العاري، وهنا ابتسم، بدا لي -فجأة- أن كل شيء سيصبح على ما يرام. وعندما تكلم قفز قلبي في صدري!

إنه إنجليزي!

- آسف! لقد ثقبت إحدى عجلات سيارتي، ورأيت أنه توجد غرف شاغرة. هل يمكنني أن آخذ غرفة لهذه الليلة؟

نظر لي بفضول، كأنه يشعر بأن هناك شيئًا ما غير طبيعي. عليّ الآن أن أكون ذكية، ربنا نجحت في قتل الرجلين اللذين يضطهداني.

أجبته بأنني آسفة، وأن النزل مغلق، وأن لوحة غرف شاغرة أضيئت بالخطأ.

وبينما كنت أقول هذا قمت بإشارة بإصبعي المقوس المتجه إلى صدري لأدعوه إلى الدخول. ظهر عليه الاستغراب، عليّ أن أسهل له الأمر، سألته:

- ألا يمكنك الذهاب إلى بحيرة جورج، رغم ثقب عجلة سيارتك؟

- مستحيل! لقد مشيت أكثر من كيلو متر على العجلة الفارغة، ولم يتبق شيء سليم من إطارها.

قمت بحركة خفيفة من رأسي نحو الخلف ملحة عليه بالدخول:

- إن ممثلي شركة التأمين هنا. سوف أسألهما. انتظر هنا.

وقمت بإشارة من إصبعي مرة أخرى.

استدرت ومشيت خطوتين للداخل مع بقائي قريبة من الباب، لأمنع الرجلين من إغلاقه. كانا واقفين، وقد وضعا أيديهما في جيبوبهما، وهما ينظران إليّ كأنهما يريدان إرسالي إلى الجحيم.

فهم الرجل الغريب إشارتي، وتقدم قليلاً إلى الداخل، وعندما رأى الرجلين تجمد وجهه وقال:

- أعتقد أنكما سمعتما ما قلت. هل لديكما مانع أن أقضي الليلة هنا؟

- يا إلهي! إنه إنجليزي. ما هذا؟ هل نحن في الأمم المتحدة؟

قال الرجل النحيف بلهجة حادة:

- لا يمكن يا صديقي، لقد سمعت ما قالته الآنسة. إن النزل مغلق، سوف نساعدك على تغيير عجلة سيارتك حتى تستطيع الرحيل.

أجاب الإنجليزي بهدوء:

- الوقت متأخر على هذا العمل. فأنا متجه إلى الجنوب، وأشك بأن يكون على الطريق نزل آخر أستطيع قضاء الليل فيه، ثم إن لوحة غرف شاغرة مضاءة.

- ألم تسمعني يا سيد؟

كان العفريت يتكلم بخشونة، التفت إلى سلاجسي وقال:

- تعال، سنساعد هذا الرجل على تغيير عجلته.

اقترب كل منهما خطوة نحو الباب، لكن الإنجليزي - باركه الرب - لم يتحرك وقال:

- ربما من محاسن الصدف أن لي أصدقاء، أصدقاء مهمين، أنت لا تريدين أن تفقدي رخصة إدارة هذا النزل، أليس كذلك؟ لقد أشارت اللافتة إلى (غرف شاغرة)، والمكان مفتوح. أنا مرهق وأريد غرفة.

ثم التفت لي وقال:

- هل سيسبب هذا لك أي متاعب؟

هتفت:

- أوه لا، أبداً، إنه لن يستغرق سوى دقيقة لتجهيز غرفة. أعتقد أن مستر سانجينتي لن يحب أن يفقد رخصة النزل.

ونظرت بأعين متسعة وبريئة تجاه الرجلين المجرمين. كانا يبدوان على وشك سحب مسدساتهما، لكن الرجل النحيل تحرك مبتعداً، وتبعه سلاجسي وتهامسا لمدة دقيقة. وانتهزت الفرصة لأشير برأسي للرجل الإنجليزي، وقد بادلني ابتسامة مشجعة. استدار الرجل النحيل وقال:

- حسناً، يمكنك الحصول على الغرفة، لكن لا تحاول أن تهددنا مرة أخرى بأصدقائك المهمين. فالسيد سانجينتي لديه أصدقاء في مجلس الشيوخ أيضاً، وربما انتزعت نقطة مع لافتة غرف شاغرة، لكن لا تعتمد كثيراً على حظك. نحن في مركز قوة هنا، وما نقوله عليك تنفيذه، هل هذا مفهوم؟

- هذا يناسبني، وشكراً جذيلاً لكم. سأحضر حقيبتي.

تحرك ليخرج لكني هتفت بسرعة:

- سأساعدك.

سمعت سبةً تصدر منهما، وشعرت بالعار من مظهري. فقد بدأت ملابسي في الترهل حتى أني سحبتها إلى رقبتي. قلت للرجل الإنجليزي بطرف شفتي خوفاً من أن ينتبه الآخران:

- شكرا لك، والحمد لله، لقد وصلت في اللحظة التي كانا يستعدان فيها لقتلي، لكن الله يسهر عليّ، إنهما مجرمان، لا أعرف ماذا يريدان، لكنني واثقة أنهما ينويان بي شراً، لقد حاولت الهرب لكنهما أطلقا عليّ النار.

Telegram:@mbooks90

قال عندما وصلنا للسيارة:

- تعالي من الجانب اللآخر لنتظاهر أنك معجبة بالسيارة.

انحنى وفتح الباب، وأخذ يعبث بشيء في الداخل وسألني:

- هل هما مسلحان؟

- نعم.

- كم سلاحاً معهما؟

- لا أعرف، لكن الرجل الأصغر يبدو رامياً محترفاً، فهو يصيب أي هدف على بُعد ستة أمتار. أما الآخر فلا أعرف.

أخرج حقيبة سوداء صغيرة ووضعها على الأرض ثم فتحها وسحب شيئاً من تحت ملابسه ودسه في جيبه الداخلي. ثم أخرج من جانب الحقيبة أشياء مسطحة تشبه أمشاط المسدسات، وأغلق الحقيبة قائلاً:

- من الأفضل أن نكون مسلحين.

أغلق باب السيارة ووقف. فحصنا مؤخرة السيارة، وانحنينا نفحص العجلة المثقوبة وسألني:

- ماذا عن الهاتف؟

- مفصول.

- أعطيني الغرفة المجاورة لغرفتك.

- بالتأكيد.

- حسناً، وهيا بنا، مهما قالا أو فعلا، ابقي دائماً بجواري.

- حسناً، شكرا لك.

ابتسم وهو يقف وقال:

- انتظري حتى ننتهي من هذا المأزق.

رجعنا معاً، وأغلق سلاجسي – الذي كان يقف على العتبة – الباب خلفنا ووضع المزلاج، وبعد أن فكر للحظة، مد يده وضغط على الزر لإطفاء لوحة غرف شاغرة، ثم قال وهو يلقي بمفتاح على المائدة:

- هذا مفتاحك أيها الإنجليزي.

أخذت المفتاح ونظرت إلى الرقم. إنه أربعين. إنها آخر غرفة إلى اليسار، قلت بلهجة حازمة:

- سيأخذ هذا السيد رقم عشرة، بجانبي تماماً.

اتجهت إلى مكتب الاستقبال وقد نسيت أن كل المفاتيح مع سلاجسي، الذي تبعني وقال وعلى شفتيه ابتسامة عريضة:

- لا أيتها الصغيرة، نحن لا نعرف أي شيء عن هذا الرجل. لذلك سوف ننام أنا والعفريت بجانبك، كل واحد في جهة، حتى نضمن ألا يزعجك. إن باقي الغرف جاهزة لنقل أثاثها، وليس هناك إلا الغرفة رقم أربعين.

ثم التفت إلى الإنجليزي وسأله:

- ما اسمك؟

- بوند.. جيمس بوند.

- هذا اسم لطيف. من إنجلترا، أليس كذلك؟

- نعم. أين دفتر التسجيل، لأكتبه لك.

- رجل لطيف، هـه؟ ما هو عملك؟

- الشرطة.

ففر سلاجسي فمه، وتحرك لسانه ليبلل شفتيه، استدار لينادي على العفريت، الذي كان يجلس إلى المائدة القديمة:

- هيه يا عفريت. خمن.. إنه شرطي سري. ماذا تعرف عن هذا يا ماضغ اللبان؟

أومأ العفريت برأسه وقال:

- اعتقدت أني شممت هذا. من يهتم؟ نحن لم نفعل أي غلط.

هتف سلاجسي:

- نعم، هذا صحيح أيضاً.

ثم استدار ليواجه مستر بوند ويقول:

- والآن لا تنصت لأي ادعاءات من هذه المحتالة الصغيرة. نحن من شركة التأمين، هو نوع من العمل الخاص بالسيد سانجينتي، إنه رجل أعمال كبير من (تروى)، هو مالك هذا المكان، حسناً، كانت هناك شكاوى من سرقات مالية، وأشياء عينية أخرى، قدمها مديرو المكان، لذلك حضرنا لنجري تحريات، وعندما بدأنا نسأل هذه السارقة ضربت زميلي بمكسر الثلج. انظر بنفسك.

قالها وأشار نحو العفريت وتابع:

- والآن هل يعجبك هذا؟ لقد كدنا نبدأ في تقييدها عندما حضرت أنت. أليس هذا صحيحاً يا عفريت؟

- هذا ما جرى بالظبط.

صحت بغضب:

- أنت تعرف أن هذه حفنة من الأكاذيب.

قلتها وأنا أتحرك إلى الباب الخلفي، وأشرت إلى إطار الباب، وآثار الثقوب فيه وصحت:

- كيف جاءت ثقوب الرصاص هذه اذن؟

أطلق سلاجسي ضحكة صاخبة وقال:

- فتشيني يا أختاه.

ثم استدار إلى العفريت وسأله:

- هل لمحت أي رصاص يتطاير في الأرجاء؟

رد العفريت بصوت يبدو فيه الملل:

- كلا، لم أر.

ثم أشار بيده إلى الأرضية حول ركن الطعام وقال:

- لكني رأيت أشياء متدلية من السيدة يا صديقي.

ثم تحركت عيناه ببطء إليّ وهو يقول:

- أليس هذا صحيحاً يا سيدتي؟ ألم يكن هناك سكين كبير معقوف يتدلى منك؟ تذكري جيداً، من كنت ستعتدين عليه هذا الصباح؟

صحت بحرارة:

- أنت من اعتديت عليّ. حسناً انتظر وسترى نتيجة أفعالك. أنت تعرف جيداً أنني كنت أحاول الدفاع عن نفسي. أما بخصوص هذه القصة عن النقود، فهذه هي المرة الأولى التي أسمع بها، وأنت تعرف هذا.

كسر الإنجليزي صمته وقال:

- حسناً، يبدو أنني حضرت في الوقت المناسب لإحلال السلام. والآن أين هو دفتر التسجيل، حتى أقوم بتسجيل بياناتي؟

قال سلاجسي بحرص:

- لا داعى للتسجيل أيها الرئيس، فأنت لن تدفع، فالمكان قد أغلق، يمكنك الحصول على سرير في المنزل.

- حسناً، شكراً لك.

ثم التفت جيمس بوند إليّ وسأل:

- هل يمكنني الحصول على بيض، وبيكون، وبعض القهوة؟ لقد فتح هذا الحديث شهيتي. فإذا كانت هذه الأشياء موجودة فيمكنني أن أعدها بنفسي.

أجبته وأنا اتجه بسرعة خلف البار:

- أوه! لا، يسرني أن أعد لك الطعام.

- شكرا لك.

تجاهل بوند سلاجسي واستدار نحو المشرب، جلس على أحد المقاعد العالية، ووضع حقيبته على مقعد مجاور. كنت – بطرف عيني – أراقب سلاجسي، رأيته يتحرك بسرعة إلى الرجل النحيف ويجلس بجواره، ثم يتكلمان بحماس.

ألقى جيمس بوند بنظرة إليهما من فوق كتفه، ثم هبط من مقعده، وخلع معطف المطر، وقبعته، ووضعهما على حقيبته، ثم صعد مرة أخرى إلى المقعد العالي.

كان هو يراقب الرجلين بصمت، من خلال المرآة الطويلة الموجودة على الجدار، خلف المشرب، بينما كنت أعد الطعام، وأنا أوجه له نظرات سريعة بين الحين والآخر.

كان طوله حوالي ستة أقدام، معتدل القوام ورشيق، كانت الشمس قد لفحت وجهه بينما كانت عيناه لونهما رمادي يميل إلى الزرقة. كانت عيناه الضيقتان المتحفزتان توحيان بالخطورة، لذلك شعرت بالخوف منها في اللحظة الأولى التي

رأيتهما فيها، لكني الآن وقد رأيت كيف يبتسم، أعتقد أنه جذاب أكثر منه خطير.

كان وجهه مثيراً لي، كما لم أر من قبل أي رجل أكثر منه إثارة. كان يرتدي قميصًا من الحرير الأبيض الخفيف، مع رباط عنق أسود، بينما كانت سترته مصنوعة من قماش أزرق داكن.

كانت يداه القويتان مسترخيتين على ذراعيه المتقاطعين، والآن مد يده إلى جيبه ليخرج علبة سجائر معدنية عريضة، سألني:

- هل تريدين واحدة؟

افترضت أن هذه السجائر فاخرة من نوع (شيستر فيلد) وانحنى فمه إلى الأسفل قليلاً، وهو يبتسم. أجبته:

- ليس الآن، شكرا لك، ربما عندما انتهي من تجهيز الطعام.

- بالمناسبة. ما اسمك؟ أنت كندية، أليس كذلك؟

- نعم، من (كيبيك) لكني أقيم في إنجلترا منذ حوالي خمس سنوات. اسمى فيفيان ميشيل، يناديني أصدقائي (فيف)

- كيف أوقعت بنفسك في هذا المأزق بالله عليك؟ إن هذين الرجلين من أخطر المجرمين الذين قابلتهم منذ سنوات. أنا متأكد أن النحيل خرج مؤخراً من السجن بعد أن قضى مدة طويلة فيه، أما الآخر فيبدو أنه مصاب بمرض نفسي. كيف حدث هذا؟

حكيت له القصة بشكل متقطع أثناء الطهي، استمع لي بهدوء دون تعليق، كانت الموسيقى ما زالت تخرج من الراديو، لكن المجرمين كانا يجلسان في صمت يراقباننا، لذلك أخفضت من صوتي، وعندما انتهيت سألته:

- هل أنت شرطي فعلا؟

- ليس تماماً، لكنني أهتم بهذا النوع من الأمور.

- تقصد أنك شرطي سري؟

- شيء قريب من هذا.

- لقد استنتجت هذا.

سألني ضاحكاً:

- كيف؟

- لا أعرف. لكنك تبدو خطيراً إلى حد ما. وفي حقيبتك مسدس وذخيرة.

ثم بدا عليّ الارتباك، وأنا أسأله:

- هل أنت.. هل أنت موظف رسمي؟ أقصد، هل تعمل لحساب الحكومة؟

أجاب بابتسامة مطمئنة:

- نعم. لا تقلقي أبداً من هذا الأمر. أنا معروف في واشنطون. إذا تخلصنا من هذا المأزق فسأتولى أمر هذين الرجلين.

وأصبحت عيناه باردتين مرة أخرى، وهو يضيف:

- وسأسعى لجعلهما يعدمان على الكرسى الكهربائي بسبب ما فعلاه بك.

- أنت تصدقنى؟

- بالطبع،كل كلمة، لكن الذي لا أفهمه هو هدفهما المنشود. لقد تصرفا كأن في استطاعتهما أن يفعلا بك ما يريدان دون أن يتعرضا، والآن يبدوان هادئين مطمئنين تجاهي. أنا لا أحب هذا. هل يشربان؟ هل يدخنان؟

- لا، لا يفعلان.

- هذا لا يجعلني مرتاحاً أيضاً. إن المحترفين فقط هم من يفعلون ذلك.

انتهيت من إعداد الطعام، ووضعته على المائدة. تناول بوند طعامه كما لو كان جائعاً بالفعل. وسألته إذا كان جيداً، فأجاب بأنه رائع، فشعرت بالحرارة بداخلي. يا

له من حظ رائع هذا الرجل! نعم، فقط هذا الظهور الساحر لهذا الرجل من الظلام. لقد شعرت بالتواضع أمامه. لقد كان معجزة بكل المقاييس. لقد أقسمت في نفسي أن أتلو صلواتي هذه الليلة للمرة الأولى منذ سنوات. لقد كنت أحوم حوله باهتمام، مقدمة إليه المزيد من القهوة، وبعض المربى ليكمل بها شطيرته.

وأخيراً ضحك لي بلطف وهو يقول:

- أنت تفسدينني! معذرة، لقد نسيت كل شيء عن الأمر، إنه وقت تدخينك، لقد استحوذت على كل الأمر.

ثم أشعل لي سيجارة من ولاعته المعدنية، التي تشبه المسدس، لقد لمست يدي يده وعندها شعرت برجفة تسري في جسدي. واكتشفت فجأة أني كنت أرتجف، وبسرعة تناولت الأطباق، وبدأت في غسلها وقلت:

- أنا لم أستحوذ على شيء، من الرائع أنك هنا. إنها معجزة حقيقية.

كان صوتي يرتعش، وشعرت بالدموع الحمقاء تقترب. ومررت بظهر يدي على عيني، لا بد أنه رآني، لكنه كان يتعمد ألا يبدو عليه ذلك.

ثم قال بلطف:

- نعم، لقد كان حظاً حسناً، على الأقل آمل ذلك. لا يمكنك أن تعرفي بعد. هل أخبرك؟ يجب علينا أن نتخلص من هذين المجرمين، سننتظر حتى يقومان بأية حركة، الذهاب إلى الفراش، أو ما شابه. هل ترغبين في معرفة كيف أتيت إلى هنا الليلة؟ سيكون كل شيء في الصحف خلال يوم أو يومين. القصة كاملة، ما عدا أني لن يتم ذكري فيها. لذلك يجب أن تعديني بنسيان دوري في القصة. إن كل شيء غير منطقي في الحقيقة. إنها الأنظمة. لكن يجب عليّ العمل تحت إمرتهم. هل فهمتِ؟ يجب أن أبعد ذهنك تماماً عن المتاعب. سيكون هذا ممتعاً.

أجبته بامتنان:

- نعم، أخبرني من فضلك، وأنا أعدك من كل قلبي ألا أتكلم.

الفصل الحادي عشر
حكاية قبل النوم

جلست على المقعد المجاور للمغسلة؛ لأبقى قريبة منه، حتى أسمح له بالحديث بسهولة أكثر، رفضت سيجارة أخرى، فأشعل هو واحدة، ورمق المجرمين للحظة في المرآة، نظرت إليهما أنا أيضاً. رد لنا الرجلين نظراتنا بنظرات أكثر عدائية، بطريقة كانت كافية لإفساد الجو، لم يعجبني شكليهما. فهما يبدوان واثقين بأن موقفهما قوي جداً، وأنهما يملكان الوقت الكافي.

لكن لم يبدُ على جيمس بوند أن ذلك يقلقه. كان يبدو عليه أنه يحاول تقدير قوتهما، مثل لاعب شطرنج.

بدأ بوند بالكلام، فنسيت مشاغلي وأصغيت له باهتمام كبير، قال:

- في إنجلترا عندما يصل رجل – وأحياناً امرأة – من الجانب الآخر، أي من الجانب السوفيتي، وهو يحمل معلومات مهمة، فإن هناك أسلوباً خاصاً يُعمل به. لنأخذ مثلاً برلين – لأنها الطريق الأكثر شيوعاً – سيؤخذ الرجل أولاً إلى مقر المخابرات، ويعامل بدقة بالغة، إذ يجب التخلص من العملاء المزدوجين، هؤلاء الأشخاص الذين يدعون انهم (اختاروا الحرية) من أجل التجسس علينا، ونقل المعلومات إلى الروس. وهناك أيضاً العملاء (الثلاثيون)، أي الأشخاص الذين يبدأون كعملاء مزدوجين، ولكنهم يغيرون رأيهم، وينقلون إلى الروس – بموافقتنا – معلومات مختلفة. هل تفهمين هذا؟ إن الأمر لعبة معقدة، لكن هذا هو حال السياسة الدولية.

- أفهم هذا. هذا يبدو سخيفاً بالنسبة إلى جيلي. نحن بحاجة إلى أشخاص مثل (جاك كينيدي)، فالسبب يعود إلى هؤلاء العواجيز، عليهم أن يسلموا العالم إلى أشخاص أصغر منهم سناً، لم تلتصق الحرب في عقلهم الباطن على أنها هي الحل الوحيد.

قال جيمس بوند وهو يبتسم:

- أنا أتفق معك. لكن أرجوك ألا تنشري آرائك هذه، وإلا لن أجد لي وظيفة!

ثم سحب نفساً من سيجارته، وتابع:

- عموماً، عندما يمر اللاجئ من مركز التحقيقات في برلين، فإنه يرسل إلى إنجلترا، وهناك تعقد معه صفقة: أنت تخبرنا بكل ما تعرفه عن قواعد إطلاق الصواريخ السوفيتية، وفي المقابل سنمنحك اسماً جديداً، وجواز سفر بريطانيًا، ونخفيك، بحيث لا يعثر عليك السوفيت. هذا هو أكثر ما يخافون منه، فبالطبع يكون الروس في أثرهم حتى يغتالونهم. لكنهم إذا وافقوا على اللعبة فإنه سيكون أمامهم اختيارات، مثل كندا، أو أستراليا، أو نيوزيلندا، أو أفريقيا. لذلك عندما يقرون بما يعرفونه، فإنه يتم إرسالهم إلى البلد الذي يختارونه. وهناك يتم استقبالهم بواسطة الشرطة المحلية، هذا ما يرعبهم بالطبع، لكنهم بالتدريج يحصلون على عمل، ويندمجون في مجتمع جديد، مثل المهاجرين الشرعيين. هذا الأمر يتم تقريباً بنجاح دائماً. لكنهم بعض فترة يصابون بالحنين إلى وطنهم الأصلي، وقد تبدأ معهم المتاعب، لكن دائماً ما يوجد بعض المسئولين الذين يساعدونهم في الوقت المناسب.

أشعل جيمس بوند سيجارة أخرى وقال:

- أنا لا أخبرك بأي شيء لا يعرفه الروس. إن الجزء السري الخاص في هذه القصة هي عناوين هؤلاء الناس. لكن كان هناك رجل، سأسميه (بوريس)، كان مقيماً في (تورنتو) بكندا. كان هدفاً مثالياً، حيث كان أحد أكبر بناة السلاح النووي الخاص بالأسطول الروسي. لقد هرب إلى فنلندا، ثم إلى ستكهولم، وهناك التقطناه، وحملناه جواً إلى إنجلترا، إن الروس لا يتكلمون أبداً عن المنشقين عنهم. يتركونهم يهربون. فإذا كانوا ذوي أهمية، فإنهم يقبضون على عائلاتهم، ويرسلونهم إلى سيبيريا؛ ليتجمدوا من الرعب. لكن الأمر كان مختلفاً مع بوريس، لقد أرسلوا أمراً عاماً إلى عملائهم السريين بالتخلص منه. لكن لحسن الحظ فإن منظمة تدعى (سبكتر) التقطت هذا الأمر.

ألقى جيمس بوند نظرة صارمة على الرجلين في أقصى الغرفة، كانا يجلسان

هناك، يشاهدان وينتظران. ينتظران ماذا؟

التفت إليّ جيمس بوند وسألني:

- ألا أضجرك؟

- أوه بالطبع لا. إنني أرتجف من الإثارة، هؤلاء منظمة (سبكتر) ألم أقرأ عنهم في مكان ما؟ ربما في الصحف؟

- أتوقع أنك فعلت. فمنذ سنة مضت، كان هناك أخبار عن قنبلة نووية مسروقة، لقد كانت تدعى (عملية كرة الرعد) هل تذكرين؟

ثم شردت عيناه بعيداً وهو يضيف:

- كان ذلك في جزر بالباهاما.

- أوه بالطبع أتذكرها. لقد نشرت في كل الصحف. لقد كنت أصدقها بالكاد. لقد كانت شيئاً أشبه بفيلم مغامرات، لماذا؟ هل كنت متورطاً فيها؟

ابتسم جيمس بوند:

- جزئياً فقط. لكن المهم هو أننا لم نتخلص تماماً من منظمة (سبكتر)، لقد كانت كأنها نوع من منظمة من الجواسيس الأحرار (منظمة حصرية لأعمال التجسس، والإرهاب، والانتقام، والابتزاز) كما يطلقون على أنفسهم. حسناً، لقد ظهروا مرة أخرى، وكما قلت فقد سمعوا أن الروس يطلبون بوريس ميتاً، وبطريقة ما فإنهم عرفوا مكانه. ولا تسأليني كيف؟ فهؤلاء الأشخاص مدربون جيداً، لذلك فقد أرسلوا رسالة إلى رئيس المخبارات الروسية في باريس (كي. جي. بي) الرئيس الإقليمي لفرع الخدمات السرية الروسية، إنهم سيقومون بالمهمة في مقابل مائة ألف جنيه إسترليني. وبالطبع وافقت موسكو، إن عندهم فرعاً خاصاً هو الذي نتعامل معه، ولقد أرسلوا تقريراً أن هناك عميلاً سابقاً للجستابو (المخابرات النازية) موجود في تورنتو يدعى (هورست أولمان) له علاقات بالعصابات هناك، لكن هل نعرف نحن شيئاً عنه؟ لقد عرفنا أنه استأجر شخصاً غير معروف، وأنه مستعد لأن يدفع خمسين ألف

دولار لمن يقوم بهذا العمل. وقد عرف أحد الأشخاص الأذكياء، الذي يعمل معنا، أن المقصود هو قتل بوريس.

انحرف فم جيمس بوند إلى الأسفل وهو يضيف:

- وهكذا أرسلوني لأهتم بهذا الأمر.

ثم ابتسم لي وهو يسأل:

- ألا تفضلين فتح التليفزيون؟

- أوه لا، تابع أرجوك.

- حسناً، أنت تعرفين أن الشرطة المحلية تواجه متاعب كثيرة في تورنتو، فقد نشبت حرب بين العصابات، ولقد استعانت الشرطة ببعض خبراء من سكوتلاند يارد، حيث تمكن أحدهم من دس شاب كندي ذكي للغاية بين عصابة (الميكانيكيين) وهى أقوى عصابات تورنتو، كما أن لها فروعاً في شيكاغو، وديترويت أيضاً، وهي التي اكتشفت ما ينويه أولمان. ولقد عملنا – أنا والشرطة الكندية – معاً حتى اكتشفنا في النهاية أن بوريس هو الهدف وأن عصابة (الميكانيكيين) وافقوا على تنفيذ العملية يوم الخميس الماضي. أما أولمان فقد اختفى تماماً، وكل ما استطاع رجلنا السري معرفته، هو أن أولمان وافق على قيادة فريق من القتلة، مكون من ثلاثة من الرماة الماهرين المجرمين. كانت خطتهم أن يهاجموا منزل بوريس بشكل علني فيشقون طريقهم بالرشاشات، ويقتلونه ويرحلون. كان هذا سيحدث قبل منتصف الليل، وكان على (الميكانكيين) أن يقيموا مراقبة دائمة على منزله؛ للتأكد من أن بوريس عاد من عمله، ولم يغادر منزله. كان عليّ – بالإضافة إلى حماية بوريس – القبض على أولمان، لأننا أصبحنا واثقين بأنه أحد رجال (سبكتر)، وأنا لديّ مهمة بمطاردة رجال هذه المنظمة في أي مكان يظهرون فيه. لم يكن في الإمكان طبعاً ترك بوريس معرضاً لهذا الخطر، لكن من جهة أخرى، إذا نقلناه إلى مكان آمن فلن تحدث محاولة اغتياله، ولن نتمكن من القبض على أولمان. لذلك اضطررت إلى اقتراح أمر غير سار، غير سار بالنسبة لي، لقد اكتشفت – عن طريق الصور

الفوتوغرافية - أن هناك شبهاً كبيراً بيني وبين بوريس، السن، الطول، ولون البشرة، ولذلك كنت أراقبه من خلال سيارة خاصة سرية لبضعة أيام؛ لأعرف كيف يمشي، وماذا يرتدى، وهكذا اقترحت أن نضعه في مكان آمن في ليلة موعد الاغتيال، بينما آخذ أنا مكانه في طريق العودة إلى منزله.

لم أتمالك نفسي وهتفت بقلق:

- لكن كان عليك ألا تتعرض لهذا الخطر! افترض أنهم غيروا خطتهم وقرروا قتل بوريس في الشارع، أو بقنبلة موقوتة؟

هز بوند كتفيه وقال:

- فكرنا في هذا. كان الأمر مجازفة لكنها محسوبة، أنا أتقاضى أجري من أجل القيام بهذا العمل. عموماً أنا هنا الآن، لكن لم يكن المشي في الشارع أمراً سهلاً، وقد شعرت بارتياح كبير، عندما وجدت نفسي داخل المنزل. كانت الشرطة قد استأجرت المنزل المواجه لمنزل بوريس، كنت أعرف أنني لا أغامر كثيراً، وأن عليّ القيام بدور (الطُعم) الذي يجذب السمكة. كان باستطاعتي أن أظل خارج الشقة، وأن اختبئ في مكان ما من البناية، حتى ينتهي كل شيء. لكني وجدت أن عليّ القيام بالدور كاملاً. وقد كنت محقاً في ذلك. فعند الساعة الحادسة عشرة ليلاً، رن جرس الهاتف، وسأل صوت رجل: «هل أنت مستر بوريس»؟ ثم أعطاني اسماً مزيفاً.

قلت له: «نعم، من أنت»؟

رد الرجل: «شكراً لك. أنا مدير التليفونات، نحن نفحص فقط الاشتراكات في هذا الحي، عمت مساءً».

رددت عليه، وشكرت السماء؛ لأني كنت هناك، ورددت على المكالمة الغريبة، التي تؤكد أن بوريس في المنزل. كانت الساعة التالية ساعة عصيبة. سيكون هناك الكثير من إطلاق النار، وبالتأكيد الكثير من القتلى. بالتأكيد لا أحد يحب ما سيحدث، حتى إذا كانوا لا يتوقعون أن يصابوا. كان معي مسدسان قويان يناسبان المقاومة. ومنذ الساعة العاشرة، وحتى الثانية عشرة، اتخذت مكاني في الركن الأيمن من الباب،

مستعداً في حال أن قدم أولمان، أو أحد رجال العصابة عابري الممر الأمامي. لكي أكون صريحاً معك، فكلما مرت الدقائق كنت أتخيل سيارة القتلة، وهي تأتي عبر الطريق، ويقفز منها الرجال، ثم يصعدون بحرص السلالم، ولقد تمنيت لو أنني قبلت عرض الشرطة بأن يشاركني أحدهم المهمة. لكنها كانت مهمة ستستغرق خمس ساعات، ولم نكن سنتمكن من معرفة أي هراء يمكن أن نتحدث عنه خلالها. كنت دائماً أفضل أن أؤدي المهام منفرداً. هذه هي طريقتي في العمل. حسناً، مرت الدقائق والثواني، فبعد أن مرت خمس دقائق بعد منتصف الليل، سمعت صوت خطوات متلصصة على السلم، ثم انفتح الجحيم!

صمت جيمس بوند قليلاً، ثم مرر يده على وجهه، لقد كانت فترة لاستعادة ذاكرته، أو ربما لإبعاد بعض الذكريات السيئة عنه. ثم أشعل سيجارة أخرى وأكمل:

- ثم سمعت صوت الملازم من قوة الشرطة، وهو يهتف: «نحن الشرطة.. استسلم..» ثم دوى مزيج من طلقات منفردة، وطلقات رشاش، ثم صرخ: «معذرة.. إنها طلقات تحذيرية». وسمعت صرخة أحدهم. ثم هتف الملازم: «اقبض على هذا الرجل». كُسر الباب، واندفع رجل يحمل رشاشاً إلى الداخل، أخذ يحرك بصره يمنة ويسرة، بحثاً عن بوريس. أدركت أنه أولمان – عضو الجستابو السابق – أطلقت النار على سلاحه فطار من يده، لكنه كان سريعاً فقفز خلف الباب المفتوح.

كان الباب مصنوعاً من لوح خشبي رقيق. لم يكن بإمكاني أن أغامر بأن لديه مسدساً آخر، وأن يطلق النار عليّ، لذلك أطلقت النار على الباب راسماً خطاً متعرجاً، بينما أنا راكع على ركبتي. وقد أحسنت في ذلك؛ لأنه أطلق دفعة من الرصاص كادت أن تصيب شعري، بالرغم من أني كنت راكعاً، لكن اثنتين من رصاصاتي أصابتاه في كتفه الأيسر، وفي جذعه الأيمن، فسقط خلف الباب، وتوقف عن الحركة. كان باقي رجال الشرطة في الخارج قد اختفوا في نهاية السلم، وهم يطاردون المجرمين، لكن أحد رجال الشرطة، وكان جريحاً، ظهر في مدخل الغرفة، وهو يزحف على يديه وقدميه، كان قادماً لمساعدتي، سألني:

- هل تحتاج لمساعدة؟

أطلق أولمان النار عبر الباب في اتجاه الصوت، وقتله. ساعدني ما جرى على تحديد ارتفاع سلاح أولمان، وأطلقت النار في نفس اللحظة تقريباً، ثم اندفعت إلى وسط الغرفة لأقتله، إذا كان هذا ضرورياً، لكن لم أكن أحتاج إلى هذا، فبرغم كل شيء كان أولمان ما زال حياً، وعندما صعد باقي رجال الشرطة، نقلوه في سيارة إسعاف، وفي المستشفى حاولوا أن يدفعوه للاعتراف، هذا الرجل نصف الجستابو، والنصف (سبكتر)، لكنه لم يفعل، وقد مات في نهار اليوم التالي.

ثم نظر جيمس بوند في عيني دون أن يراني وأكمل:

- كان عندنا قتيلان وجريحان، أما على الجانب الآخر فقد خسروا رجلاً آخر. وبقي مصابان لن يعيشا طويلاً. بعد انتهاء هذه المهمة أمرني رؤسائي بالذهاب إلى واشنطون؛ لتقديم تقرير مفصل عنها، من أجل الحصول على مساعدة الأمريكيين في القضاء على فرع عصابة (الميكانيكيين) في أمريكا. وقد رفضت أن أسافر بالطائرة، وفضلت السيارة، وافق رؤسائي، بشرط ألا تستغرق الرحلة أكثر من ثلاثة أيام، لذلك استأجرت هذه السيارة، وبدأت الرحلة فجر اليوم.

كنت أسير بسرعة جيدة، عندما وجدت نفسي في قلب العاصفة، التي تعرضتم لها هنا، قد اخترقت العاصفة حتى بحيرة جورج، حيث كنت أنوي قضاء الليل، لكن المكان لم يعجبني. عندها لمحت – عند زاوية طريق فرعي – لوحة تعلن عن هذا النزل، فقررت أن أجرب حظي.

ثم ابتسم وهو يتابع:

- ربما دلني حدسي أنك موجودة في نهاية هذا الطريق، وأنك في مأزق. عموماً لقد ثقبت عجلة سيارتي على مسافة كيلو متر من هنا، وها قد جئت.

عاد يبتسم ووضع يده على يديّ وقال:

- غريب كيف تحدث الأمور.

- لا بد أنك مرهق بعد أن قدت السيارة طوال هذه الفترة.

- عندي شيء خاص بهذه الحالات. أرجو أن تعطيني فنجان قهوة.

بينما كنت قادمة بالقهوة، فتح حقيبته، وأخرج منها قنينة بها أقراص بيضاء اللون، أخذ اثنين منها وابتلعهما مع القهوة وقال:

- إنه (بنزدرين)، إنه يجعلني مستيقظاً طوال الليل، سوف أنام غداً.

ابتسم لي ابتسامة مشجعة وقال:

- لا تقلقي، يمكنك أن تنامي قليلاً، سوف أتجول في المنطقة حتى أضمن عدم تعرضك لأي خطر.

خفت صوت الموسيقى القادم من الراديو شيئاً فشيئاً، وأعلنت ساعة الإذاعة منتصف الليل.

الفصل الثاني عشر
أن تنام... أو أن تموت

بينما اتجه سلاجسي إلى الباب الخلفي وخرج إلى الليل، اقترب الرجل النحيف منا وقال:

- حسناً، انتهت السهرة، إنه منتصف الليل، سوف نفصل الكهرباء، لقد ذهب صديقي لإحضار مصابيح الطوارئ التي تضاء بالزيت، فليس هناك مبرر للإسراف في الكهرباء. إنها أوامر السيد سانجينتي.

كان يتكلم بلهجة شبه ودية، فهل تخلى الرجلان عن خططهما؟ مهما كانت بسبب وجود هذا الرجل الذي يدعى جيمس بوند؟ أنا لا أشك في هذا.

عادت لي الأفكار السلبية، والتي كنت قد تحررت منها، أثناء سماعي حديث بوند. سوف اضطر إلى النوم في غرفة تحيط بها غرفتا الرجلين. يجب أن أحصن غرفتي، لكن إن لديهما مفتاحاً يفتح كل الغرف. يجب على بوند أن يساعدني.

تثاءب بوند وقال:

- سأكون سعيداً إذا نمت قليلاً. لقد عبرت مسافة طويلة اليوم، وعندي عمل كثير غداً. لا شك أنكما أيضاً تريدان النوم.

أصبحت نظرات الرجل النحيف ثاقبة وهو يقول:

- هل أنت قادم أيها السيد؟

- اعتقد أن عملكما ذو مسئولية كبيرة.

- أي عمل؟

- أنكما خبراء في التأمين في مثل هذه المؤسسة الكبيرة. لا شك أنها تساوي نصف مليون دولار، بالمناسبة، هل تمت كفالتكما؟

- لا، فالسيد سانجينتي ليس في حاجة لكفالة أي شخص يعمل معه.

- هذه ثقة كبيرة في موظفيه. ما هو اسم شركته؟

- (مترو لتأمينات الحوادث والمنازل)

بدا الاهتمام على وجه الرجل النحيف الذي سأل:

- لماذا؟ ما الذي يدور في ذهنك أيها السيد؟ ما رأيك أن تتكلم بصراحة؟

قال بوند بلهجة عدم اهتمام:

- أخبرتني الآنسة أن النزل ليس ناجحاً تماماً، وأراهن أنه ليس في قائمة المنظمات الفندقية، ومن الطبيعي أن يكون العمل صعباً، إذا لم يكن النزل ينتمي إلى مثل هذه المنظمات. ومع ذلك فإنهم أرسلوكم إلى هنا لمهمة بسيطة، مثل التأكد من عدد الملاعق، وفصل الكهرباء.

لمع بريق أحمر مخيف رأيته من قبل في عينيّ الرجل النحيف، وقال:

- الأفضل أن تقفل فمك أيها السيد، لقد سئمت كلامك. هل تلمح إلى أن في الأمر شيء غير قانوني؟ هل تعتقد أننا ننوي القيام بعمل غير قاوني؟

- أنت لا تحتاج إلى الصياح.

يبدو أن لهجة بوند الحازمة، قد أثرت في الرجل النحيف، حيث سيطر على غضبه، وقال:

- هذا يكفي. أنتم جميعاً هكذا يا رجال الشرطة، الشك في الناس أمر متجذر في نفوسكم، والآن، ماذا حدث لزميلي؟ هيا، إلى النوم.

وبينما كنا نعبر – الواحد تلو الآخر – من الباب الخلفي، انطفأت الأضواء، وتوقفنا – أنا وجيمس بوند – لكن الرجل النحيف تابع سيره تحت الممر المسقوف، كأنه يرى بوضوح في الظلام.

ظهر سلاجسي من وراء زاوية المبنى، وهو يحمل مصباحين، أعطى واحداً إلى كل منا، وقال وهو يبتسم ابتسامة كريهة:

- أتمنى لكما أحلاماً سعيدة.

تبعني جيمس بوند إلى غرفتي، دخل ثم أغلق الباب وقال:

- ليتني أعرف ما ينويان فعله. لكن قبل أي شيء يجب أن نتأكد أن جميع النوافذ مغلقة.

أجال بوند نظره في الغرفة، وفحص أقفال النافذة، والباب، ثم قدر حجم فتحة التهوية، وقال وقد بدا عليه الارتياح:

- ليس هناك سوى الباب، بعد أن أخرج ضعي المنضدة خلفه؛ لتشكل حاجزاً إضافياً.

دخل الحمام ومزق قطعاً طويلة من القماش، صنع منها زوايا متينة، ثم دس عدداً منها تحت الباب وجذبه، فصمدت الزوايا، ثم أعاد إخراج الزوايا وأصلحها ثم ناولها لي، ثم سحب من حزامه مسدساً صغيراً وسألني:

- هل سبق لك استخدام مسدس؟

- أطلقت النار على الأرانب، وأنا صغيرة من مسدس ذي ماسورة طويلة.

- حسناً، هذا مسدس (سميث ويستون)، إنه يستطيع أن يصد أي شخص، يجب أن تصوبي بشكل منخفض، أمسكي السلاح هكذا، ثم اضغطي على الزناد بشكل متواصل، لكن هذا ليس مهماً فسأسمع الصوت، وأحضر بسرعة.

ابتسم لي وتابع:

- يجب أن تتذكري أنك تتمتعين بحماية كاملة. إن النوافذ مصنوعة من مواد متينة. فلا يمكن الدخول منها إلا عن طريق كسر الزجاج. لا شك أن هذين المجرمين لن يطلقا عليك النار عبر الزجاج. لكن تحسباً للطوارئ اتركي السرير مكانه، واصنعي فراشاً من الوسائد، والأغطية، على الأرض في الركن المقابل. ضعي المسدس تحت وسادتك، وادفعي المنضدة خلف الباب، وضعي عليها التليفزيون، وهكذا إذا حاول أحدهم أن يفتح الباب فسيسقط التليفزيون وتستيقظين. عندها يكفي أن تطلقي

النار عبر الباب قرب المقبض، حيث يفترض أن يكون الطارق واقفاً، وبعدها انتظري حتى يطلق صرخة.

وافقته وأنا أتمنى أن يظل في غرفتي. لم أجرؤ على أن أطلب منه ذلك. ولكن عموماً يبدو أنه قد رسم لنفسه خطة.

اقترب بوند مني، وقبلني على شفتيّ. من ذهولي ظللت واقفة بلا حراك، قال لي بلطف:

- معذرة يا فيفيان، لكنك فتاة جميلة، والآن لا تقلقي، نامي قليلاً، وسأسهر عليك.

أحطت بذراعيّ عنقه ورددت قبلته على شفتيه، وأنا أضمه بقوة وأقول:

- أنت أجمل رجل رأيته في حياتي، شكراً لوجودك هنا. لكن أرجوك يا جيمس، كن حذراً، أنت لم تشاهدهما كما فعلت أنا، إنهما خطران للغاية.

قبلني مرة أخرى وقال:

- اطمئني. أنا أعرف هذا النوع. نفذي تعليماتي واذهبي للنوم. طابت ليلتك يا فيفيان.

خرج، وظللت للحظات أتأمل الباب المغلق، ثم ذهبت لأغسل أسناني واستعد للنوم. نظرت إلى نفسي في المرآة. كان شكلي مخيفاً. يا له من يوم حافل! يجب ألا أتركه يرحل، لكني كنت أعرف – في قلبي – أن هذا مستحيل، سوف يرحل وحيداً، وأظل أنا وحدي. لم تتمكن أي امرأة من الاحتفاظ بهذا الرجل، ولن تحتفظ به أية امرأة أبداً. إنه رجل يعيش وحيداً، لا يستسلم لقلبه، ولا شك أنه يكره كل ما يربطه.

أطلقت تنهيدة: حسناً، سأقبل الواقع. سوف أتركه يرحل ولن أبكي عندما يتركني، لكن ماذا جرى للفتاة التي قررت ألا تسلم قلبها بعد الآن؟

لا تزال الريح القوية تهز الأشجار أمام نافذتي. ظهر القمر من بين الغيوم، التي كانت تتحرك بسرعة.

هدأت أعصابي، ألصقت أذني بالجدارين، لكنهما كانا – لسوء الحظ – منفصلين

عن الغرف الأخرى ذات الأرقام الفردية. لذلك لم أتمكن من سماع أي شيء.

قبل أن أتحصن في غرفتي، فتحت بابها بهدوء، ثم خرجت، ألقيت نظرة في الخارج، كان هناك خيط من النور يتسرب من أبواب الغرف أرقام: ثمانية.. وعشرة.. وأربعين وهي التي يقيم بها جيمس بوند.

كان كل شيء هادئاً، رجعت إلى غرفتي، ونظرت حولي، ونفذت كل تعليماته. ثم تذكرت الصلاة، جثوت في مكاني على السجادة، وشرعت أصلي. كان في صلاتي شكر وتوسل.

ثم أخذت قرصين من الأسبرين وأطفأت النور، ثم ذهبت إلى الفراش الذي صنعته على الأرض.

فككت رباط حذائي دون أن أخلعه، ثم دسست نفسي تحت الغطاء.

نال التعب مني، وتذكرت المسدس، فدسست يدي تحت الوسادة للتأكد من وجوده.

ثم غرقت في النوم.

استيقظت فجأة.

ظللت للحظة أتساءل أين أنا؟ كانت العاصفة قد هدأت، وكنت مستلقية على ظهري. لا شك أن هذا ما أيقظني.

ظللت للحظات أتأمل بقعة الضوء، التي تغطي الجدار المواجه لي. إذن لقد ظهر القمر مرة ثانية. شعرت أن النوم يعود إليّ، فاستدرت على جانبي لرؤية الغرفة، وأغمضت عينيّ.

لكن بينما كنت أغفو، برزت أمامي صورة قبل أن أغمض عيني، ولاحظت شيئاً غير طبيعي، فتحتهما بصعوبة، واحتجت إلى بضع دقائق أخرى؛ لكي أتذكر ما رأيته.

إنها خيوط النور المتسربة من حول باب الخزانة. هذا النور هو الذي كان منعكساً على الجدار.

يا لحماقتي! إنني لم أغلق الباب تماماً، فلم ينطفئ النور آلياً.

جمعت قواي، ونهضت لإغلاق الباب. لكن بعد أن خطوت خطوتين في الغرفة، تذكرت فجأة شيئاً، لا يمكن أن يكون هناك نور داخل الخزانة، فالكهرباء مقطوعة.

وقفت لمدة دقيقة ويديّ على فمي، وعندما استدرت لأسحب المسدس، انفتحت أبواب الخزانة، واندفع منها سلاجسي الغاضب، يحمل في يده مصباحاً، بينما كان هناك شيء آخر يتأرجح في يده الأخرى.

ثم أصبح فوقي. أعتقد أني أطلقت صرخة قصيرة، لكن ربما كانت فقط كانت بداخلي. في اللحظة التالية انفجر شيء بالقرب من جانب رأسي، وشعرت بنفسي أسقط على الأرض.

ثم ساد الظلام.

كان شعوري الأول عندما بدأ وعيي يعود لي، أني شعرت بقلبي يدق بقوة، بينما يتم سحبي على الأرض. ثم شممت رائحة احتراق، ورأيت اللهب، وحاولت أن أصرخ. إلا أني لاحظت أنه لا صوت يخرج من فمي، إلا همهمة حيوانية. ثم بدأت أركل بقدمي. لكني كنت مقيدة اليدين والقدمين بقوة، وفجأة ومع الألم المخيف الذي أصاب رأسي وجدت نفسي أسحب عبر العشب المبتل، وأغصان الشجر. فجأة انثنت ساقي، ووجدت رجلاً مستلقياً إلى جواري، ويده على فمي. كان الصوت القريب من أذني هو صوت جيمس بوند، الذي همس بتوتر:

- لا تصدري أي صوت، ظلي مستلقية، كل شيء سيكون على ما يرام. إنه أنا.

رفعت يديّ لألمس كتفه. كانت عارية. لقد ضغطت عليه لأتأكد أنه حقيقي، وابتعدت اليد عن فمي، همس لي:

- انتظري، ولا تتحركي، سأعود في ثوان.

انزلق في صمت مبتعداً.. في صمت؟! ماذا سيهم ما يصدره من ضجة؟ لقد كان هناك هدير رهيب، ولفحات من اللهب خلفي، وضوء برتقالي يخرج من بين الأشجار.

جلست بحرص على ركبتي، وبالألم أدرت رأسي. كان هناك جدار هائل ممتد من اللهب يأتي من جهة اليمين، ويمتد عبر صف الكبائن.

يا إلهي! ما الذي أنقذني منه! ووضعت يديّ على شعري. لكن لم يمكنني لمسه، لم يكن هناك سوى كدمات تخفق على رأسي من الخلف. واكتشفت أني أستطيع الوقوف، نهضت وأنا أحاول أن أتذكر ما حدث. لكني لم أستطع أن أتذكر أي شيء بعد أن تم ضربي. إذن لا بد أنهم أشعلوا النار في المكان، بينما استطاع جيمس بوند – بطريقة ما – أن ينقذني في الوقت المناسب، وأن يسحبني إلى الغابة الخلفية.

سمعت حفيفاً بين الأشجار، ثم وجدته إلى جواري. لم يكن يرتدي قميصاً، أو معطفاً، لكن كان هناك بقايا ملابس محترقة تلمع في أضواء اللهب، كما كانت هناك ضربة داكنة بالقرب من أسفل إبطه. كانت عيناه تبرقان من التوتر والإثارة، وظهر وجهه المتأثر بالدخان، وشعره، كان مظهره مخيفاً إلى حد ما.

ابتسم بتعب، وأومأ برأسه في اتجاه اللهب، وقال:

- هذه هي اللعبة. حرق المكان من أجل الحصول على التأمين. لقد خططا ليبدأ الحريق من مكتب الاستقبال، ثم ينتقل إلى باقي المكان، إذا أوقفتهما الآن فربما أنقذ مستر سانجينتي، لكن مع وجودنا – كشهود – فإنه لن يشم رائحة التأمين أبداً، بل سوف يدخل السجن. لذلك يجب علينا الانتظار قليلاً، حتى يحصل على غنيمته.

فجأة تذكرت أمتعتي المجهزة فهتفت به:

- ألا يمكن إنقاذ الدراجة البخارية؟

- كل شيء على ما يرام. لقد فقدت فقط بعض الأمتعة، إذا كنت قد تركتها في غرفتك. لقد استعدت المسدس وأنا أنقذك، كما أخرجت حقائب الظهر، وسحبت الدراجة البخارية بعيداً لتوي. إنها تبدو جيدة المظهر. لقد وضعت كل شيء في مخبأ بين الأشجار. لقد استخدموا قنابل موقوتة لنسف الكبائن، والمباني على الجانبين، بدلاً من البنزين. كي لا يتركوا أدنى أثر لخبراء التأمين.

- لكن كان يمكن أن تحترق.

برقت ابتسامته كالبرق في الظلام:

- لهذا خلعت معطفي. فيجب أن يقابل باحترام في واشنطون.

لم يبدُ لي هذا مضحكاً فقلت:

- لكن ماذا عن قميصك؟

كان هناك الكثير من التصدع، وتطاير لألسنة اللهب قادماً من الكبائن.

قال جيمس بوند:

- لقد فقدت قميصي في انهيار سقف الكابينة.

صمت وحك وجهه المتعرق المتسخ بيديه، فاتسعت رقعة الهباب الأسود عليه.

- لقد كنت أشعر أن شيئاً ما سيحدث، ربما كان يجب عليّ أن أكون أكثر استعداداً مما فعلت. كان يجب مثلاً أن أذهب لأغير عجلة سيارتي. فلو كنت قد فعلت لكنا في طريقنا إلى الهرب الآن. يمكننا أن ندور حول الكبائن، حتى نصل إليها، وندفعها حتى نصل إلى بحيرة جورج، ثم نبلغ الشرطة، لكني أظن أني إذا كنت أصلحت السيارة، فإن أصدقاءنا كانوا سيجبرونني - وعندهم الحجة - على المغادرة. كنت سأرفض بالطبع، أو كنت سأقول إني لن أغادر بدونك. لكني أعتقد أن هذا كان سيؤدي إلى إطلاق النار. سأكون محظوظاً إذا تمكنت من ضربهما أولاً، قبل أن أطلق النار عليهما. وبغض النظر عني، فقد رجعتِ أنتِ إلى نفس البداية. وهذا أمر سيئ. لقد كنتِ جزءاً أساسياً في خطتهم.

- لقد كنت أشعر بهذا، لكني لم أكن أفهم لماذا؟ كنت أعرف أن الطريقة التي عاملوني بها كانت تعني أنني غير مهمة، لكنها كانت قابلة للتغيير، ماذا كانوا يريدون استخدامي فيه؟

- كنت ستكونين سبب الحريق. وسيكون شهود مستر سانجينتي بالطبع مديريك السابقين، وبالطبع هما متورطان في هذا الأمر حتى أعناقهما.

- أنا أتذكر أن سلوكهما معي تغير كثيراً في اليوم الأخير. كانا يعاملانني كقمامة يجب التخلص منها.

- سيشهدان أنهما أخبراك أن تطفئي الكهرباء، وتتأكدي منها جيداً؛ لأن المكان قد أغلق. على أن تستخدمي مصباح البنزين في ليلتك الأخيرة. ولقد ذهبت إلى النوم، وتركت المصباح مضاءً، وبطريقة ما حدث الأمر. لقد انفجر المكان بأكمله. لقد كانت المباني مليئة بالحطب، وتكفلت الريح القوية بالأمر. كان وصولي مزعجاً لهما. سيعثران على بقيا أشيائي، السيارة، وربما ساعة يدي، والمعدن المتبقي من حقيبتي. لا أعرف ماذا فعلا بمسدسي، وبالمسدس الآخر الذي كان تحت وسادتك. إن هذه الأشياء ستتسبب لهما المتاعب. سيفحص رجال الشرطة السيارة، وأرقامها في كندا، وأيضا أرقام المسدس في إنجلترا، وهذا سوف يقودهم إلى التعرف علي. لكن لماذا كان مسدسي الآخر تحت وسادتك؟ هذا سيجعل الشرطة تفكر. فإذا كنا نوعًا من العشاق، فلماذا كنت أنام بعيداً عنك؟ ربما لم نكن عشاقاً، ولذلك نمت بعيداً عنك، بينما أخذت أنت مسدسي لتحمي فتاة وحيدة في الليل. لا أعرف كيف سيفسرون الأمر. لكني أعتقد أن أصدقاءنا – بعد أن أخبرتهما أني شرطي – سيقومان بإخفاء المسدسات، فبعد أن تخمد النيران بساعات، فإنهما سيبحثان بين الرماد عليهما؛ لكي يتجنبا هذا النوع من المتاعب. لقد اهتما بالتأكيد بآثارهما، وبصماتهما، هذان الرجلان محترفان، بمقاييسهما.

- لكن لماذا لم يقتلاك؟

- لقد فعلا. أو أنهما يعتقدان أنهما قد فعلا. فعندما تركتك وعدت بالقرب من الكبائن، كنت أعرف أنه إذا حدث لك شيء ما، فإنهما سيتخلصان مني أولاً. لذلك وضعت دمية في سريري، لقد فعلتها من قبل وانطلت عليهما الخدعة. يمكنك أن تصنعي شيئاً شبيهاً بالجسد في السرير، بواسطة الوسائد والمناشف، كما يجب أن تضعي شيئاً يبدو كالشعر على الوسادة. لقد فعلت ذلك بشكل فني جداً. ثم علقت قميصي على كرسي بالقرب من السرير، لمزيد من الإقناع أن صاحب القميص نائم في سريره. وضعت المصباح نصف مضاء، وسحبت حقيبتي، وتسللت بين الأشجار.

أطلق جيمس بوند ضحكة وهو يقول:

- لقد تركاني لمدة ساعة، ثم تسللا بلطف، حتى أني لم أسمعهما، دفعا الباب ثم أطلقا الكثير من الرصاص، مستخدمين كاتمًا للصوت، كنت أظنني أني ماهر، لكني لم أكن فقد استغرقت خمس دقائق، حتى أصل إلى حجرتك عن طريق الأشجار. كان يمكنني أن أقتحمها إذا كنت قد سمعت مسدسك، لكن يبدو أنه في تلك الليلة وبينما كان سلاجسي يتفقد المكان، فإنه قد صنع فتحة في جدار خلف خزانة حجرتك، لم تكن هناك ظروف مناسبة لنا حتى نتفقد الحجرة رقم 8، كما أنه لم يكن هناك سبب لذلك. على أي حال كان أول شيء رأيته في حجرتك هو اللهب، جريت كالجحيم، كنت أسمعهما يتحركان بين الكبائن، يفتحان الأبواب، ويلقيان بشعلات متفجرة، ثم يغلقان الأبواب، ليبدو كل شيء عادياً.

أثناء كل هذا الحديث كان جيمس بوند ينظر إلى سقف مبنى الاستقبال، الذي كنا بالكاد نراه من بين الكبائن المشتعلة. الآن قال:

- يجب أن أسعى خلفهما. لكن كيف تشعرين الآن يا فيف؟ ما أخبار رأسك؟

رددت بنفاد صبر:

- أوه! أنا بخير، لكن هل أنت مضطر إلى مطاردتهما يا جيمس؟ اتركهما يرحلان. ما أهميتهما؟ ربما أصاباك.

رد بحسم:

- لا يا عزيزتي، لقد أوشكا على قتلنا. وبإمكانهما العودة بين لحظة وأخرى، واكتشاف اختفاء الدراجة البخارية، عندها سنفقد عنصر المفاجأة، ثم أنا لا يمكنني أن أتركهما يذهبان، فهما قاتلان، فإذا ذهبا فقد يقتلان غداً شخصاً آخر.

ثم أضاف وهو يبتسم:

- إلى جانب كل هذا فقد تسببا في فقدي لقميصي!

قلت وأنا أمسك بذراعه:

- إذن، يجب أن تتركني أساعدك. وعليك أن تكون على حذر، فلا يمكنني النجاة وحدي. أنا أحتاج لك.

تظاهر أنه لم يلاحظ يديّ فقال بصوت شبه بارد:

- فى هذه الحالة لا تتعلقي بالذراع التي تمسك بسلاحي. هناك عمل يجب القيام به.

ثم ناولني المسدس الصغير، وقال:

- خذي، واذهبي بين الأشجار حتى مرآب الغرفة رقم 3، فهو موجود في الظلام، بينما الريح تدفع بالنار إلى الاتجاه الآخر. من هناك يمكنك أن تراقبي ما يحدث، دون أن يراك أحد. وإذا احتجت إلى مساعدة سأعرف أين أجدك. لذلك لا تتحركي من هناك، وإذا ناديت عليك، فتعالي بسرعة.

ثم نظر لي بتفحص وقال:

- إذا حدث لي شيء، امشي على ضفة البحيرة، وابتعدي، بأسرع ما يمكن، فبعد هذا الحريق سيمتلئ المكان صباح غدٍ برجال الشرطة، عندها يمكنك أن تعودي بهدوء، وأن تتواصلي معهم. وسوف يصدقونك. وإذا ناقشوك فاطلبي منهم أن يتصلوا بقسم المخابرات المركزية في واشنطون، وسترين أن النتيجة ستكون مرضية. فقط عليك أن تخبريهم من كنت. إن عندي رقم تعريف هو 007 حاولي ألا تنسيه.

الفصل الثالث عشر

صدام مسلح

- أخبريهم من أنا.

لماذا قال هذا الكلام؟ لماذا يضع هذه الفكرة في رأسي؟

الرب، أم القدر، أم أيٌ من كان يدير أحداث هذه الليلة؟ لا يجب أن يعبر المرء عن أفكاره السوداء. لكن أين هو الآن؟ إنه يبحث عن طريقه في الظلام، مستخدماً ضوء الحريق، وجهازه العصبي المتوتر، الذي يترقب الخطر.

لكن ماذا يفعل الأعداء الآن؟ هل يعد له المجرمان فخاً؟ هل سأسمع صوت طلقات الرصاص، ثم صيحات الألم؟

ذهبت إلى مرآب الغرفة رقم 3، وهناك نظرت في اتجاه اللهب، والظلال التي كانت تتراقص على بقية الغرف، ومبنى الاستقبال.

انهار سقف غرفة أخرى، يرافقه شرر برتقالي اللون، ثم تبعه سقف مبنى الاستقبال. وعلى ضوء اللهب، رأيت السيارتين على جانب الطريق، لكن لم يكن هناك أثر للمجرمين، أو لجيمس بوند.

خطر لي فجأة أني فقدت شعوري تماماً بالوقت، فنظرت إلى ساعتي، كانت الثانية صباحاً. إذن فقد بدأت أحداث الليلة قبل خمس ساعات. لقد بدت لي كأنها خمسة أسابيع. حتى شعرت أن كل حياتي السابقة ترجع إلى سنوات كثيرة ماضية.

فجأة رأيت الرجلين. كانا يتجهان نحوي، وقد حمل كل منهما جهاز تليفزيون. لا شك بأنهما يأخذاهما؛ لبيعهما؛ لكسب مبلغ إضافي.

كانا يسيران، وقد أخذ لهب الحريق يلمع على وجهيهما المبللين بالعرق. لكن أين جيمس بوند؟ هذه فرصة مناسبة للقضاء عليهما.

لم يعد يفصل بيني وبينهما سوى عشرين متراً. كانا يتجهان مباشرة إلى سيارتهما.

لكن أين جيمس؟ هل ألحق بهما وأوقفهما وحدي؟ أنا غبية حقاً! فإذا فشلت – وأنا واثقة من فشلي – فإنهما سيقضيان عليّ.

وفجأة تسمرا مكانيهما. كان جيمس واقفاً أمامهما، وهو يسدد مسدسه نحوهما، وسمعت صوته كلسع السوط وهو يقول:

- استديرا في مكانكما. سأقتل أول من يترك التليفزيون.

استدار الرجلان ببطء حتى أصبحا في مواجهة المكان الذي اختبئ فيه، ثم سمعت جيمس يناديني:

- تعالي يا فيفيان. أنا أحتاج لمساعدتك.

أخذت المسدس من حزامي، وأسرعت إليه جرياً، وعندما أصبحت على مسافة عشرة أمتار من الرجلين، قال جيمس:

- توقفي. سأشرح لك ما ستفعلين.

وقفت مكاني بينما أخذ الوجهان الشريران في تفحصي. كانت الدهشة ظاهرة على وجه الرجل النحيف، أما سلاجسي فقد أطلق الكثير من الشتائم.

صوبت مسدسي إلى التليفزيون الذي يغطي بطنه، وقلت له:

- اخرس وإلا قتلتك.

أطلق سلاجسي ضحكة ساخرة، ثم قال:

- هل ستفعلين؟ ستخافين من صوت الرصاص.

صاح به جيمس:

- اغلق فمك وإلا حطمته. اسمعيني يا فيفيان. يجب أن نجرد هذين الرجلين من مسدسيهما. اذهبي خلف العفريت، وادفعي ماسورة مسدسك في عموده الفقري، ثم دسي يدك الأخرى تحت إبطه. هذا عمل سيئ، لكن لا يمكن تجنبه. وأخبريني إذا شعرت بوجود سلاح، وسأشرح لك ما يجب أن تفعليه. اقتربي ببطء، وسوف أراقب

الآخر، ولكن إذا تحرك العفريت أطلقي عليه النار فوراً.

فعلت ما طلبه مني، ذهبت خلف الرجل النحيف، ودفعت بمسدسي في ظهره، ثم مددت يدي اليسرى تحت ذراعه الأيمن. كانت تفوح منه رائحة الجثث.

وفجأة شعرت بالقرف من قربي منه، ولمسي له.

أعرف أن يدي ارتجفت، ولا شك بأن هذا شجعه لأن يجرب حظه، لأنه تخلى فجأة عن التليفزيون واستدار كالأفعى، فأطار مسدسي من يدي بضربة قوية، ثم ألصقني به.

انطلق مسدس بوند وشعرت بمرور الرصاصة بجواري، أخذت أقاوم، وأوجه الركلات إلى الرجل، وحاولت الوصول إليه بأظافري، لكني كنت كمن يهاجم تمثالاً حجرياً.

كان يشدني إليه بقوة متزايدة، حتى تقطعت أنفاسي، وسمعته يقول:

- ما رأيك أيها الإنجليزي؟ هل تريد أن تقتل الفتاة؟

شعرت بإحدى يديه تتركني لتخرج مسدسه، فاستكملت المقاومة. وصاح جيمس:

- باعدي بين ساقيك يا فيفيان.

نفذت أمره فوراً بينما هدر مسدسه مرة أخرى. أطلق الرجل النحيف سبة، وأفلتني. لكني سمعت – في نفس اللحظة – صوت تحطم خلفي، استدرت بسرعة. كان سلاجسي – في اللحظة التي أطلق فيها بوند النار – قد رمى بالتليفزيون من فوق رأسه باتجاه بوند.

أصاب الجهاز وجه بوند، وجعله يفقد توازنه.

وبينما كان سلاجسي يصيح برفيقه يدعوه إلى الهرب، ألقيت بنفسي على العشب، واستعدت مسدسي، وأخذت أطلق النار على سلاجسي، ولكني أخطأته؛ لأنه كان يجري بشكل متعرج.

وما لبث الرجلان أن أصبحا بعيدين عن مرمى المسدس، واختفى سلاجسي في الغرفة رقم 1 إلى اليمين.

نهضت بسرعة وجريت إلى جيمس. كان ينهض على ركبتيه، ويمسح رأسه بيده، وعندما وصلت، نظر إلى يده وأطلق سبة. كان هناك جرح كبير في جبينه.

ودون أن أنطق بكلمة واحدة جريت إلى نافذة مبنى الاستقبال وحطمتها بمقبض مسدسي، اندفع هواء ساخن من الفتحة نحو وجهي، لكن لم يصحبه أي لهب.

تحت النافذة كان صندوق الإسعافات الأولية موجوداً على المائدة، حيث تركه المجرمان.

صاح بوند بشيء، لكني كنت قد تسلقت النافذة، وحبست أنفاسي حتى لا أستنشق الدخان، وأمسكت بالصندوق، ثم قفزت إلى الخارج.

كان الدخان قد بدأ يحرق عيني.

نظفت الجرح بقدر ما أستطيع، ثم أخرجت بعض المطهرات والضمادات. لم يكن الجرح عميقاً، لكنه سيترك ندبة طويلة. قال بوند:

- معذرة يا فيفيان. فشلنا في الجولة الأولى.

كان هذا هو رأيي أيضاً، وسألته:

- لماذا لم تطلق النار عليهما؟ كانا أمامك مشلولين وهما يحملان التليفزيون.

أجاب بخشونة:

- لم أستطع يوماً أن أقتل أحداً ما ببرود. لكن كان عليّ أن أحطم سيقانهما. لا شك أني أصبته بجرح، وها هو الآن يستطيع الاشتراك في المعركة.

- أنت محظوظ أيضاً. لماذا لم يقتلك سلاجسي؟

- اعتقد أنه ترك سلاحه في الغرفة رقم 1، عندما كان يقوم بإشعال النار في مبنى الاستقبال، ولا شك أنه لم يرغب في أن يحمل الرصاص أثناء مروره قريباً من النار،

عموماً لقد أعلنا الحرب، وستكون مهمتنا صعبة. يجب أن نظل نراقب سيارتهما، فلا شك أنهما يرغبان في الرحيل بسرعة. لكن سيكون عليهما قتلنا أولاً. إنهما في مأزق حرج وسيضطران إلى القتال كالمجانين.

ظل بوند يراقب الغرفة رقم 1، بينما كنت أنظف جرحه. عندما انتهيت قال لي:

- الأفضل أن نعثر على مخبأ، فقد يكون معهما أسلحة أخطر، ولا بد أنهما الآن قد انتهيا من تضميد قدم العفريت.

نهض وأمسك فجأة بذراعي وصاح:

- أسرعي.

وفى نفس اللحظة سمعت صوت تحطم زجاج إلى يميني، ثم تبعه زخات من الرصاص من سلاح آلي. أخذ الرصاص يصفر خلفنا، وهو يصدم بجدار مبنى الاستقبال، وقال بوند مبتسماً:

- اعتذر مرة أخرى، لا شك أني لست في أفضل أحوالي الليلة. الآن لنفكر للحظة.

طالت هذه اللحظة، كان العرق يسيل مني بسبب الحرارة المنبعثة من مبنى الاستقبال المحترق. الذي لم يكن قد بقي منه سوى الجدار الشمالي، والجزء الذي نختبئ خلفه، والذى يصل إلى الباب الأمامى.

أما بقية المبنى، فقد تحول إلى كتلة من النار، لكن الريح كانت ما تزال تدفع بالنار صوب الجهة الجنوبية. بدا لي أن هذا الجدار سيصمد مدة لا بأس بها. قال جيمس:

- إليك ما سنفعله الآن. أريدك أن تكوني في مكان يمكن أن تساعديني منه، دون أن أشعر بالقلق عليك. من جهة أخرى، لا شك بأنهما سيركزان اهتمامهما عليك؛ لأنهما يعتقدان أني مستعد لكل شيء – حتى لتركهما يهربان – في مقابل عدم إيذائك.

- هل هذا صحيح؟

- لا تكوني سخيفة! إذا تسللت وراء هذا الجدار، فسيمكنك الذهاب إلى الجانب الآخر من الطريق، ثم العودة إلى حيث تصبحين في مواجهة سيارتهما. كوني هادئة،

حتى إذا وصلا إلى السيارة، فلا تطلقي النار إلا إذا أمرتك بذلك. اتفقنا؟

- لكن أين ستكون؟

- سأبقى هنا، وأتركهما يتقدماني إليّ. إنهما يريدان قتلنا، ثم الهرب. لنتركهما يحاولان، فالوقت ليس في صالحهما. الساعة الآن الثالثة، فمتى يطلع النهار؟

- بعد ساعتين تقريباً، في حوالي الخامسة. لكنهما اثنان، وأنت وحدك، سوف يهجمان عليك على هيئة كماشة.

- هذه أفضل خطة متاحة لنا. والآن اذهبي إلى الجانب الآخر من الطريق، قبل أن يبدأ الهجوم، وسوف أشغلهما.

تحرك إلى ركن المبنى، ودار حوله، ثم أطلق رصاصتين على الغرفة اليمنى، تلا ذلك زخات من الرصاص. عاد بوند وقال لي:

- هيا. اذهبي.

جريت جهة اليمين، ثم عبرت الطريق، وأنا أبذل الجهد حتى يشكل جدار مبنى الاستقبال حاجزاً بيني وبين غرفة المجرمين، ثم تسللت بين الأشجار.

بعد قليل وجدت نفسي وسط الصف الأول من الأشجار، على مسافة حوالي عشرين متراً من السيارة. وكان ميدان المعركة يمتد أمامي يضيئه لهيب الحريق.

وفجأة برز القمر كاملاً من بين الغيوم، ورأيت منظراً كدت أن أطلق صيحة ذعر بسببه. كان الرجل النحيل يزحف على بطنه متجهاً إلى الجهة الشمالية من مبنى الاستقبال، كانت ماسورة مسدس تلمع في يده.

Telegram:@mbooks90

وكان جيمس بوند ما يزال في نفس المكان، الذي تركته فيه، بينما كان سلاجسي يطلق عليه النار؛ ليمنعه من التحرك، بينما كان الرجل النحيف يزحف نحوه.

لا شك أن بوند أدرك هذه الخطة، لذلك أخذ ينتقل نحو اليسار في اتجاه النصف المحترق من المبنى، وفجأة اندفع يجري باتجاه الغرف التي تمتد جهة اليسار، ولمحته يقفز في مرآب بالقرب من الغرفة 15، ثم يختفي بين الأشجار، غالباً حيث

يمكن أن يهاجم سلاجسي من الخلف. كنت أراقب الرجل النحيف. لقد أوشك أن يصل إلى زاوية المبنى. الآن هو هناك.

دار الرجل النحيف حول زاوية المبنى، وأفرغ مشط مسدسه في اتجاه الجدار الذي كنا - أنا وجيمس - نقف بجواره. وعندما لم يجد رداً عليه، التفت إلى الجانب الآخر، وأشار بيده؛ ليفهم رفيقه أننا غادرنا المكان.

وفجأة انطلقت رصاصتان من جهة الغرفة رقم 1، وارتفعت صيحة مخيفة، ورأيت سلاجسي يقترب، وهو يطلق النار بيده اليمنى، بينما كانت اليسري متدلية بلا حراك إلى جانبه.

كان يجري إلى الخلف وهو يطلق صيحات ألم، بينما يواصل إطلاق النار. وفجأة لمحت حركة في مرآب، ثم انطلق الرصاص من هناك. وفي نفس اللحظة صوب سلاجسي سلاحه في ذلك الاتجاه، بينما صمت مسدس جيمس بوند، لكن الرصاص انطلق من مكان آخر، وخيل إليّ أن بوند أصاب سلاح سلاجسي، الذي تخلى عنه فجأة، وأخذ يركض صوب السيارة التي صعد الرجل النحيف إليها.

لكن يبدو أن رصاصة بوند قد عطلت زناد الرشاش؛ لأنه سقط على الأرض، واستمر يطلق النار في جميع الاتجاهات، وهو يدور حول نفسه.

وهنا سمعت صوت محرك السيارة، ورأيت الرجل النحيف يفتح بابها الآخر، فيندفع سلاجسي بداخلها، ثم يغلقه خلفه، بينما انطلقت السيارة بسرعة.

لم انتظر جيمس بل اندفعت على الطريق، وأخذت أطلق النار على مؤخرة السيارة، لكن المسدس ما لبث أن فرغ. فوقفت مكاني، وأنا أشتم، بينما أشاهد هروب المجرمين بهذه الطريقة.

لكن فجأة ارتفع صوت مسدس بوند من الجانب الآخر، ورد عليه المجرمان من نافذة السيارة، التي بدا فجأة أنها أصيبت بالجنون، حيث قامت بدورة واسعة، كأنها ستندفع صوب جيمس، وخلال لحظة واحدة غمرته أضواء مصباحيها، ولمع العرق على صدره العاري، لكنه – برغم ذلك – استمر في إطلاق النار.

خُيل إليّ أن السيارة ستدهسه فاندفعت أركض على العشب في اتجاهه، لكن السيارة ما لبثت أن انعطفت، واندفعت في اتجاه البحيرة.

وقفت أنظر بذهول، بينما استمرت السيارة في اندفاعها، وما لبثت أن خرجت عن الطريق، وسقطت في البحيرة، وشيئاً فشيئاً أخذت تغوص في الماء.

بعد قليل استقرت في القاع، ولم يبق ظاهراً منها إلا الصندوق الخلفي، وجزء من النافذة الخلفية. أسرعت إلى بوند، ثم أحطته بذراعيّ وهتفت:

- أنت بخير؟ هل أنت مصاب؟

التفت بوند لي واحتضنني بذراعه، وقال:

- لا. أنا بخير.

عاد ينظر إلى البحيرة ويقول:

- لقد أصبت السائق - الرجل النحيل - وقد مات، فضغطت جثته على دواسة السرعة.

ابتسم بوند وأكمل:

- لقد انتهى الأمر بشكل جيد. ماتا ودفنا معاً، لا يمكنني أن أقول إنني آسف عليهما.

أعاد مسدسه إلى جرابه. كانت رائحة البارود والعرق تفوح منه، أحسست بأنها رائحة جميلة، فوقفت على رؤوس أصابعي وقبلته.

رجعنا حيث كان الحريق قد انتهى، وعاد الظلام يسيطر على المكان، ونظرت إلى ساعتي، فوجدت أنها تشير إلى الثالثة والنصف، وشعرت فجأة بتعب شديد، كأن قواي تخونني.

وكأنما أدرك جيمس ما يدور في عقلي فقال:

- لقد محت المعركة آثار الأقراص التي تناولتها. ما رأيك في بعض النوم؟ ما يزال هناك أربع أو خمس غرف في حالة جيدة، لماذا لا نأخذ الغرفة رقم 2 أو رقم 3؟ هل

تجدينها مناسبة؟

شعرت بوجهي يلتهب لكني قلت له بعناد:

- لا يهمني ما يمكن أن تفكر فيه. لكني لا أريد أن أتركك الليلة. يمكنك أن تختار الغرفة رقم 2 أو 3 فسوف أنام على الأرض.

أطلق جيمس ضحكة، ثم احتضنني بين ذراعيه، وقال:

- إذا نمت على الأرض، فسأنام أنا أيضا كذلك، لكن سيكون من المؤسف أن نترك سريراً مزدوجاً خالياً. لنذهب إلى الغرفة رقم 3.

صمت ثم نظر لي وقال:

- إلا إذا كنتِ تفضلين الرقم 2؟

- لا، غرفة 3 ستكون مناسبة.

الفصل الرابع عشر

فتاة غبية

كان جو الغرفة رقم 3 خانقاً، وبينما ذهب جيمس بوند ليجمع أمتعتنا المتناثرة بين الأشجار، قمت بفتح النوافذ، وفرشت ملاءات السرير.

كان من الممكن أن أشعر بالارتباك، لكن هذا لم يحدث. فقد وجدت لذة في ترتيب الغرفة في ضوء القمر. فتحت الدش، فاندفع الماء بقوة رغم أن الأنابيب قد انصهرت بالقرب من الغرفة. خلعت ملابسي، ثم وقفت تحت الماء. وأخذت أدعك جسدي بلطف، بواسطة صابونة كامي جيدة، وأنا أتذكر ما يقولونه في إعلانها المكتوب على العبوة:

(دلل خيالك مع صابونة كامي الوردية.. برائحة العطر الفرنسي.. مع الكريم المرطب)

منعني صوت الماء من سماع بوند عندما دخل الحمام، لكني وجدته فجأة إلى جواري عارياً، ويداه على جسدي، وشممت رائحة العرق والبارود، فاستدرت وضحكت في وجهه،

تبادلنا قبلة طويلة، كان يبدو أنها لن تنتهي، بينما كان الماء يغمرنا، ويجبرنا على إغلاق أعيننا، وعندما كادت أنفاسي أن تنقطع، حملني، وقبلني مرة أخرى، بينما يداه تتحسسان جسدي، والرغبة تقترب، كأنها موجات من الخدر اللذيذ، كنت لا أقوى على الوقوف وهمست له:

- أرجوك يا جيمس لا تفعل، أو سأسقط منك، كن لطيفاً فإنك تؤلمني.

فى ضوء القمر كانت عيناه ضيقتين كأنهما مجرد شقين، والآن ارتسمت فيهما الابتسامة، وهو يقول:

- آسف يا فيف. إنه ليس خطئي، إنهما يداي اللتان لا يمكنهما البقاء بعيداً عنك. إنهما لا تريدان أن تغسلاني، سيكون عليك أن تحممينى؛ لأنهما لا تطيعانني.

أطلقت ضحكة في وجهه، ثم جذبته تحت الدش، وأنا أقول:

- حسناً لكني لن أكون رقيقة، فقد كانت المرة الأخيرة التي حممت فيها أحداً، كان مهراً صغيراً، وكنت في الثانية عشرة من عمري. على أية حال يمكنني بصعوبة أن أرى أي شخص أنت، سأغمرك بالصابون، فاخفض وجهك، سأحاول ألا أدخل الكثير منه إلى عينيك.

- إذا أدخلت الكثير منه فسوف....

أوقفت بيديّ بقية العبارة، ثم بدأت في غسل وجهه، ثم صدره، ثم باقي جسده، بينما هو يقف ثابتاً. فجأة توقفت، وقلت له:

- سيكون عليك استكمال الباقي بنفسك.

- بالتأكيد لا، افعلي ذلك بضمير، فلا تعرفين.. ربما قامت حرب عالمية، وستصبحين ممرضة، لذلك يجب أن تتعلمي جيداً كيف تحممين رجلاً، على أية حال ما هذا الصابون اللعين؟ إن رائحتي أصبحت مثل كليوباترا.

- إنه ممتاز. بالعطر الفرنسى، إنهم يذكرون ذلك على العبوة، أصبحت رائحتك لذيذة، أفضل كثيراً من رائحة البارود.

ضحك وهو يقول:

- حسناً استمري، لكن بسرعة.

فى دقائق كنا معاً تحت الدش، وقد غطى الصابون أجسامنا، بعد أن انتهينا بدأ جيمس في تجفيف جسمي بالمنشفة، وما أن انتهى حتى أخذتها منه، وبدأت في تجفيف جسده أيضاً، ثم حملني بين ذراعيه، وسار بي إلى السرير. كنا نرقد جنبا إلى جنب في أحضان بعضنا البعض.

***

إنني لم أقم من قبل بفعل الحب الكامل بكل قلبي، كما بجسدي أيضاً. لقد كنت لطيفة مع ديريك، باردة ومتشبعة مع كيرت، لكن هذا الأمر بدا مختلفاً، على الأقل

لاحظت أن هذا لا يحدث إلا مرة واحدة في عمر الإنسان.

أعتقد أنني أعرف لماذا أعطيت نفسي بأكملها إلى هذا الرجل. لا أعرف كيف استطعت أن أفعل هذا، مع إني لم أقابل هذا الرجل إلا منذ ست ساعات فقط. ربما كان السبب هو سلطته، أو الإثارة التي يعيشها، لقد جاء من مكان مجهول، كأمير في الحكايات الخرافية، وأنقذني من التنين! فبدونه كنت سأكون ميتة الآن، بعد معاناة لا يعرف إلا الرب كم كانت ستستمر.

كان في استطاعته أن يغير عجلة سيارته ويرحل، أو عندما كان يتعرض للخطر كان بإمكانه النجاة بجلده. لكنه حارب من أجل حياتي، كما لو كانت حياته هو. وعندما مات التنين أخذني كأنني جائزته. منذ ساعات كنت أعرف أنه سيرحل دون أن يتذوق الحب أو أن يعتذر. وأن هذه ستكون هي النهاية.

كل النساء تحب أن تؤخذ عنوة. هذا يجعل فعل الحب رائعاً. هذا يكون جميلاً بعد التوتر والتعرض للأخطار، الاسترخاء وشعور المراة ببطلها المنقذ.

لم أكن أشعر بالخجل. كان هناك الكثير من السيناريوهات في انتظاري، أقلها هو أنني كنت سأكون ضحية لهؤلاء الرجال. لكن مهما كانت متاعبي فلن أسمع عنها بعد الآن. لكني لن أقف في طريقه، وسأتركه يذهب إلى طريقه، وإلى وطنه، الذي ربما تنتظره فيه امرأة، يمكن أن تعطيه حباً أكثر مما أعطيته.

لم أكن سأهتم – أو على الأقل هذا ما كنت أردده في نفسي – لأن أية امرأة أخرى لن تستطيع أن تستحوذ عليه أكثر مما فعلت أنا. وسأظل طوال حياتي مدينة له، وسأظل أتذكره كلما خطر أي رجل على خيالي.

يا لسخافتي! ما هذه الدراما المؤثرة التي تخطر لي، بينما هذا الرجل عارياً إلى جواري؟ إنه مجرد عميل محترف، كان يؤدي عمله. إنه مدرب على إطلاق النار، وقتل الرجال. ما هو الشيء الرائع فيه؟ شجاع، وقوي، وجريء مع النساء. لقد كان نوعاً من الجواسيس أحبني، لا لم يحبني، بل نام معي!

لماذا جعلت منه بطلي الخارق، حتى أقسم أني لن أنساه؟ فجأة وخزني دافع

لأوقظه، وأسأله:

- هل يمكنك أن تكون لطيفاً؟ هل يمكنك أن تكون طيباً؟

وتقلبت على جانبي بينما كان هو نائماً يتنفس بهدوء، يستلقي رأسه على ذراعه. بينما كان ذراعه الأيمن تحت الوسادة.

مرة أخرى سطع القمر في الخارج، وتسلل ضوء القمر من خلال الستائر، بعد أن تأملت جسده لفترة طويلة، استلقيت، لا، لقد كان كما كنت أفكر تماماً.

لقد كان رجلاً مناسباً للحب!

فى الجانب الآخر من الغرفة، تحركت الستائر الحمراء، وتساءلت عن السبب، وأنا أرمقها بعينين نصف مغمضتين.

رفعت عيني بكسل لأنظر إلى أعلى – إلى هذا الجانب من الغرفة – فوق سريرنا. كانت الستائر ثابتة. لا شك بأن هناك نسيم خفيف قادم من البحيرة.

هيا، عودي إلى النوم بحق السماء!

وفجأة – في أعلى الجدار أمامي – ارتفعت أجزاء من الستائر من كل جانب، وظهر وجه شاحب، يلمع، ينظر لنا من خلال الزجاج.

لم أكن أعرف – من قبل – أنه يمكن لشعر الرأس أن يقف فعلاً. كنت أتخيل أن هذا مجرد تشبيه اخترعه المؤلفون، لكنني سمعت حفيفاً على الوسادة بجوار أذني، وشعرت بهواء الليل البارد على قمة رأسي.

أردت أن أصيح لكني لم أستطع. كانت أعضائي متجمدة كالجليد. لم أستطع أن أحرك يديّ أو قدميّ. لقد جمد الرعب أطرافي، وجعلني مثل قطعة من الخشب.

خلف زجاج النافذة، كانت هناك تكشيرة على الوجه، وظهرت أسنان تلمع تحت نور القمر!

أخذت العينان المخيفتان تتجولان في الغرفة، تشاهدان السرير الأبيض، ورأسينا

على الوسادة. ثم توقفتا عن النظر، وظهرت يد ببطء، كانت تحمل شيئاً لامعاً، ورأيتها ترتفع، ثم تضرب الزجاج بقوة.

وضعت الضجة حداً لذهولي فأطلقت صرخة، وحركت جيمس بسرعة. لكن بلا فائدة؛ لأن صوت تحطيم الزجاج أيقظ بوند، وربما حولت حركتي سلاحه عن هدفه.

وعندما تفجرت طلقتا المسدسين سمعت صوت تحطم الزجاج مرة أخرى، لكن الوجه الشاحب كان قد اختفى. هتف بوند بلهفة:

- أنت بخير؟

ثم رأى أنني لست مصابة، فلم ينتظر إجابتي. خرج مندفعاً من الباب، ولم أسمع وقع أقدامه، لكنني تخيلته يلتصق بالجدار، ويدور حول المكان.

عاد بعد قليل دون أن يقول شيئاً. كان أول ما فعله هو أن سقاني كأساً من الماء. وهي أول ما يفعله الناس عندما يفزع أطفالهم، أعادت هذه الحركة إلى الغرفة جوها المعتاد، وتلاشت ظلال الأشباح، وطلقات الرصاص.

ثم إنه أخذ منشفة من الحمام، وجذب كرسياً إلى جوار النافذة المحطمة، ثم صعد عليه وسد الثغرة. بعدها أعاد الكرسي إلى مكانه، وأخذ مسدسه وفحصه، ثم غير مشط الرصاص، ودسه تحت وسادته.

أدركت في هذه اللحظة، لماذا كان ينام وهو يدس يده تحت الوسادة. لا شك أنه ينام بهذه الطريقة دائماً، قلت في نفسي: إن حياته شبيهة بحياة رجل المطافئ الذي يتوقع استدعائه في أي لحظة.

جلس على طرف السرير وقال وهو يحاول أن يبتسم:

- كدت أن أتسبب في قتلنا مرة أخرى. أنا آسف، إذا استمر هذا فسأتعرض إلى متاعب خطيرة، فعندما سقطت السيارة في البحيرة، تذكرين أن جزءاً من النافذة الخلفية ظل بارزاً، لا شك أن هذا الجزء كان يحتوى على كمية كافية من الهواء، وقد أخطأت أني لم أتأكد من مصرعهما، لم يكن على سلاجسي سوى أن يحطم الزجاج

الخلفي، ويسبح إلى الشاطئ. كان مصاباً بعدة جروح، وبالتأكيد أن السباحة قد أرهقته كثيراً، لكنه استطاع الوصول إلى غرفتنا. عموماً لا تذهبي في الصبح خلف المبنى. إن المنظر غير سار. أنا آسف، ما كان يجب أن يحدث هذا.

هبطت من السرير، ثم أحطته بذراعيّ. كان جسده بارداً، لذا ضممته إليّ، وأنا أقبله وأقول:

- لا تكن سخيفاً يا جيمس، لولاي لما تعرضت لهذا الخطر. ماذا كان سيحدث لي إذا لم تكن موجوداً؟ كنت سأشوى ثم أقتل. أنت ترتجف من البرد. ادخل إلى السرير وسوف أدفئك.

احتضنني أكثر بذراعيه. لقد ظللنا هكذا لفترة طويلة، حتى بدأت أشعر بجسده وقد بدأ يدفأ. ثم دفعني للاستلقاء على السرير، اقترب مني. ومرة أخرى بدأ الحب.

وبعد فترة استلقينا بجوار بعضنا البعض، وقد كانت يديّ تعبث بشعره عندما سألته:

- جيمس، ماذا تعنى كلمة (بيمبو) / يا حلوة؟

- لماذا؟

- سأقول لك بعد أن تجيبني.

ضحك وهو يقول:

- إنها لفظ يطلقونه على العاهرات.

- لقد توقعت هذا. لقد كانا لا يتوقفان عن مناداتي بهذا اللقب. لا بد أن هذا صحيح.

- لا لست هكذا.

- عدني ألا تعتبرني عاهرة.

- أعدك. أنت فتاة جميلة فاتنة، كفى أسئلة، وعودي إلى النوم.

قبلني واندسست في حضنه، وهو يقول:

- تصبحين على خير يا عزيزتي فيف.

الفصل الخامس عشر

محفور في قلبي

كانت هذه آخر كلمات أسمعها منه.

فعندما استيقظت في الصباح كان قد رحل، ولم يبق منه إلا آثار جسمه في السرير، ورائحته على الوسادة. أردت أن أتأكد فقفزت من السرير، وجريت لأرى هل ما زالت السيارة هناك، لكنها اختفت!

كان النزل قد تحول إلى خرائب سوداء بشعة، وكان خيط من الدخان يرتفع من بقايا مبنى الاستقبال. رجعت إلى غرفتي، وأخذت حماماً ثم بدأت في جمع أمتعتي. عندئذ رأيت رسالة على منضدة المكياج، جلست على سريري وبدأت أقرأها:

(عزيزتي فيفيان..

ربما اضطررت إلى تقديم هذه الرسالة إلى الشرطة، لذلك سأستخدم أسلوباً رسمياً. أنا أتجه الآن إلى (جلينز فولز) وعندما أصل سأطلب من الشرطة التوجه إليك فوراً، وسأقدم تقريراً كاملاً.

سأتصل أيضاً بواشنطون، ولا شك بأن الشرطة ستتولى هذه القضية.

سأفعل كل شيء؛ كي لا تتعرضي لأي ازعاج، وحتى يُسمح لك بمواصلة السفر بعد أخذ شهادتك. وسأترك في (جلينز فولز) معلومات عن اتجاهي، ورقم سيارتي، وهكذا سيستطيعون الاتصال بي إذا احتجت إلى مساعدتي، أو إذا أرادوا معرفة المزيد من المعلومات.

ليس لديك في النزل أي طعام للإفطار، لذلك سأرسل لك مع رجال الشرطة بعض من القهوة مع سندوتشات.

كنت أتمنى لو ظللت معك، ولو حتى أقابل السيد سانجينتي! لكني أشك أن يحضر هذا الصباح. وأعتقد أنه عندما لم تصله أية أخبار من المجرمين، استقل أول طائرة متجهة إلى الجنوب، حتى يقترب من المكسيك. سوف أبلغ واشنطون هذا الاحتمال،

حتى تتمكن الشرطة من اعتقاله، إنه يستحق السجن مدى الحياة بلا شك.

الآن انتبهي جيداً، لقد وفرنا – أنا وأنتِ – نصف مليون دولار - على الأقل - على شركة التأمين، لا شك أنه ستكون هناك مكافأة كبيرة ولا يحق لي – حسب قوانين مهنتي – أن أقبل أية مكافأة، لذلك لن نتناقش في الأمر، فأنتِ بطلة الأحداث، وأنتِ التي تحملت كل المتاعب. لذلك سأقدم تقريراً مفصلاً، وسأعمل على دفع شركة التأمين لتتصرف تصرفاً مناسباً.

هناك أمر آخر، لن يدهشني أن يكون أحد المجرمين – أو كلاهما – مطلوباً من الشرطة، وأن تكون هناك مكافأة للقبض عليه، سوف أقوم بترتيب هذا الأمر أيضاً.

وبالنسبة للمستقبل، قومي بقيادة دراجتك بحذر حتى نهاية رحلتك. ولا تحلمي أحلاماً مفزعة، فهذه الأمور لا تحدث كثيراً.

اعتبري أن ما جرى مجرد حادث سير كان من حسن حظك أنك نجوت منه.

إذا أردت الاتصال بي، أو إذا كنتِ في حاجة إلى مساعدة، يمكنك أن ترسلي لي من أي مكان رسالة، أو برقية، على العنوان التالي:

وزارة الدفاع الوطني

ستوريز جيت

لندن

إلى الأبد

ج. ب.

ملحوظة:-

إن عجلات دراجتك منفوختان كثيراً، بالنسبة إلى رحلة إلى الجنوب. لا تنسي أن تقللي الضغط فيهما.

سمعت هدير دراجات قادمة على الطريق، وعندما توقفت انطلقت صفارة لإبلاغي

بوصولها، دسست الرسالة في صدري، وخرجت لمقابلة الشرطة.

كانا رجلين من شرطة الولاية، وكانا ودودين جداً. كدت أنسى أن هناك أشخاصاً مثلهما موجودين، قدما لي تحية، كأني إحدى الأميرات، وقال أحدهما:

- الآنسة فيفيان ميشيل؟

كان أكبرهما رتبة. أما الآخر فكان يتكلم في جهاز لاسلكي لإبلاغ مركز القيادة بوصولهما.

- نعم.

- أنا الملازم (مورو) لقد تم إبلاغنا أنك تعرضت للمتاعب الليلة الماضية.

أشار بيده نحو الخرائب، وأضاف:

- يبدو أن ما أُبلغنا به كان صحيحاً.

أجبته بلهجة عدم اهتمام:

- آه، إنه لا شيء. إن في البحيرة سيارة بها جثة، كما أن هناك جثة أخرى خلف الغرفة رقم 3

- نعم يا آنسة.

قالها بصوت غير راضٍ عن استهانتي بالأمر. التفت نحو رفيقه وقال له:

- (أودو)، ألق نظرة في المنطقة.

- حسناً سيدي الملازم.

ابتعد (أودو) بينما قال (مورو):

- لنجلس في مكان ما يا آنسة.

انحنى الملازم على إحدى حقيبتي دراجته النارية، وأخرج منها كيساً وقال:

- أحضر لك إفطاراً، في الكيس هناك قهوة وسندوتشات، هل يكفيك هذا؟

ابتسمت له ابتسامة مشرقة وقلت:

- هذا لطف منك، فأنا أتضور جوعاً. هناك مقاعد قرب البحيرة، يمكننا أن نختار واحداً لا يطل على السيارة الغارقة.

ذهبنا إلى شاطئ البحيرة، وجلسنا على أحد المقاعد، خلع الملازم قبعته، وأخرج دفتراً وقلماً، وتظاهر بأنه يقرأ ملاحظاته فيه؛ كي يسمح لي بتناول الساندويتشات. ثم رفع رأسه وقال مبتسماً:

- لا تقلقي يا آنسة، فأنا لا أقوم بتسجيل شهادتك، سوف يحضر النقيب، ويقوم بذلك شخصياً. عندما تلقيت النداء المتعجل لم أطلع إلا على النقط الأساسية، لكن الذي أتعجب منه أن الراديو اللاسلكي لم يتوقف لحظة منذ ذلك الحين، لقد اضطررت للإبطاءِ في سيري؛ لأن التعليمات كانت ترد باستمرار من مركز القيادة.

إن كبار الموظفين في واشنطون يهتمون بهذه القضية، والآن هل يمكنك أن تخبريني يا آنسة، لماذا تدخلت واشنطون في هذه القضية، بعد أقل من ساعتين من وصول أول بلاغ من (جليز فولز)؟

لم أستطع أن أتمالك نفسي من الابتسام، وتخيلته يقول لرفيقه وهما قادمان:

«لا شك أن رئيس الولايات المتحدة سيتصل بنا بين لحظة وأخرى».

وأجبته:

- كان لرجل يدعى جيمس بوند علاقة بهذه القضية، فقد أنقذ حياتي عندما قتل هذين المجرمين، إنه عميل إنجليزي يتبع الجهاز السري. كان يسافر بالسيارة من (تورنتو) إلى واشنطون لتقديم تقريره عن إحدى القضايا، عندما ثقبت إحدى عجلات سيارته، فاضطر للمجيء إلى النزل. ولولا حضوره لكنت الآن ميتة. عموماً، أعتقد أنه شخصية مهمة. وقد أخبرني أنه يريد أن يتأكد بأن السيد سانجينتي لن يتمكن من الهرب إلى المكسيك، أو إلى أي مكان آخر، هذا كل ما أعرفه عنه تقريباً، ما

عدا أنه رجل رائع.

- هذا رأيي أيضاً، خاصة بعد أن أنقذك من هذا المأزق. لكن لا شك أن لديه اتصالات مع مكتب الأبحاث الاتحادي، فهذه المنظمة لا تتدخل عادة في قضايا كهذه، إلا إذا طُلب منها هذا بإلحاح، أو إذا كانت للقضية صفة اتحادية.

فى تلك اللحظة سمعنا صوت صفارات سيارات الشرطة على الطريق. نهض الملازم مورو، ثم وضع قبعته على رأسه وقال:

- أشكرك يا آنسة. كنت أرضي فضولي، سيحل النقيب مكاني، لكن لا تقلقي فهو رجل لطيف للغاية.

اقترب زميله وهو يقول:

- معذرة يا آنسة.

ابتعد الملازم معه وهو يستمع إلى تقريره، بينما تابعت رشف القهوة، بينما أفكر بجيمس بوند، وهو يقود سيارته على الطريق صوب الجنوب.

كان ما وصل قافلة كاملة.

فقد جاءت سيارة إسعاف، وسيارتا شرطة، وشاحنة مزودة برافعة، مرت أمامي متجهة إلى البحيرة، بالإضافة إلى عدد من الدراجات النارية.

كان يظهر عليهم جميعاً أنهم تلقوا أوامر معينة. وما لبثت المنطقة أن أصبحت تمتلئ برجال الأمن، الذين أخذوا يتحركون في كل الأماكن.

كان الرجل القوي البنيان الذي اقترب مني يتبعه صف ضابط اتضح أنه كاتب الاختزال، كان يشبه تماماً ضابط الشرطة الذي نراه في الأفلام: حركاته بطيئة، ووجهه لطيف، ونظرات ثابتة.

مد لي يده وقال:

- مس ميشيل؟ أنا النقيب (ستونور) من (جليز فولز). هل يمكننا أن نذهب إلى

حيث يمكن أن نتكلم؟ لنذهب إلى إحدى الغرف إذا رغبت، إلا إذا كنت تفضلين البقاء في الخارج.

- لا أظن أني أستطيع أن أتحمل هذه الغرف، إذا كنت لا تجد مانعاً، لماذا لا نذهب إلى هناك، حيث تناولت إفطاري؟ بالمناسبة، أشكرك على الإفطار، كنت جائعة للغاية.

- لا تشكريني يا آنسة، إنها فكرة صديقك الإنجليزي، القبطان البحري بوند.

.. إذن هو ضابط في البحرية؟!!

جلسنا على المقعد، وبعد المقدمات التقليدية طلب مني أن أروي قصتي.

استغرقت روايتي ساعتين، تخللتهما الكثير من الأسئلة منه، وقد قاطعنا الرجال أكثر من مرة، عندما كانوا يتقدمون ويهمسون في أذن النقيب.

فى النهاية كنت مرهقة. أحضروا لي فنجان قهوة، وقدموا لي سيجارة، ثم انصرف كاتب الاختزال. استدعى النقيب سنونور الملازم مورو، وأمره بأن يرسل تقريراً مبدئيا عن طريق الراديو اللاسلكي، إلى القيادة العامة.

Telegram:@mbooks90

أثناء ذلك كنت أشاهد الونش وهو يرفع السيارة السوداء، ثم يجرها على الطريق، وجاءت سيارة الإسعاف فأشحت بوجهي عند استخراج الجثة. سمعت النقيب يقول:

- أرسل نسخة إلى واشنطون.

ثم عاد إلى الجلوس أمامي ونظر لي بلطف، وقال بعض كلمات المديح، وسألته متى يمكنني الرحيل، فأجاب:

- حالاً.

خلع قبعته ووضعها على المائدة، وأخرج علبة سجائر وولاعة من جيبه، ثم قدم لي سيجارة، وأشعل له واحدة، وابتسم وقال:

- أنا لم أعد في الخدمة الآن يا آنسة ميشيل؛ لذلك أدخن.

ثم وضع ساقاً على الأخرى وأمسك بكاحله. بدا لي فجأة أنه أصبح رجلاً عجوزاً،

يستريح في جو عائلي!

سحب نفساً طويلاً من سيجارته، ونظر إلى الدخان الذي يتلاشى، ثم قال:

- يمكنك الرحيل في أي لحظة يا آنسة ميشيل. لقد أصر صديقك بوند على أن نجنبك الإزعاج بقدر الإمكان، وأنا سعيد لأنني استطعت خدمته وخدمتك.

ارتسمت ابتسامة على شفتيه وهو يقول:

- لم أكن بحاجة إلى واشنطون؛ كي أقوم بهذا، فقد أظهرتِ شجاعة نادرة. لقد وجدت نفسك وسط عملية إجرامية رهيبة، وتصرفتِ كما أتمنى أن يتصرف أي من أولادي. كان هذان المجرمان مطلوبين، وسأبلغ اسمك عندما يأتي وقت دفع المكافآت. وسأفعل الشيء نفسه بالنسبة لشركة التأمين، التي ستكون كريمة بالتأكيد.

لقد طاردنا الزوجين (فانسي) بتهمة الاحتيال مؤقتاً، وأيضاً سانجينتي هرب الآن، وقد أصبحت الشرطة تطارده، وإذا قبضنا عليه فربما نحتاج إلى شهادتك، وستدفع الولاية تكاليف سفرك، وإقامتك، أينما تكونين إذا استدعيناك. بالإضافة إلى تأمين عودتك أيضاً.

نظر لي بتفحص بعينيه الزرقاوين، ثم قال:

- لكن هذا لا ينهي القضية بشكل مرض. أقول لك هذا بيني وبينك؛ لأنني لم أعد الآن في الخدمة.

صمت للحظات ثم تابع:

- هل ترك بوند أية تعليمات، أو رسائل؟ لقد أخبرني أنك كنت نائمة عندما رحل هذا الصباح. كانت الساعة السادسة تقريباً، ولم يرغب أن يوقظك. لكن يتضح من شهادته أنكما قضيتما الليل في غرفة واحدة. وهذا طبيعي بالتأكيد؛ نظراً إلى الظروف. فلم يكن بإمكانك البقاء وجيدة بعد ما جرى. لكن هذا كان وداعاً سريعاً إلى حد ما، بعد هذه الأحداث. هل جرت لك متاعب معه؟ هل حاول أن يتجاوز الأدب معك؟

كان ينظر لي كأنه يعتذر، بينما كانت عيناه تحاولان تقدير مدى صدقي، احمر وجهي من الغضب، ورددت عليه بلهجة حادة:

- لا بالتأكيد، لقد ترك لي رسالة لم أخبرك عنها لأنها لا تحتوي على أي أمر لا تعرفه.

أخرجت الرسالة وأعطيتها له، قرأها باهتمام ثم أعادها لي وقال:

- رسالة جميلة.

عادت عيناه لطيفتين وهو يتابع:

- هل يزعجك أن أسمح لنفسي بملاحظة شخصية إلى حد ما؟ هل عندك مانع إذا تكلمت معك كأنك ابنتي؟ كان من الممكن أن تكوني حفيدتي لو أنني تزوجت في سن مبكرة.

- لا مانع، تكلم.

أشعل ستونور سيجارة أخرى وقال:

- إن ما يقوله بوند صحيح يا آنسة، اعتبري الأمر كأنه حادث سير، ويجب ألا تحلمي أحلاماً مزعجة بسببه. لكن هناك ما هو أكثر، فقد وجدت نفسك فجأة في قلب حرب إجرامية سرية، هذه الحرب التي تدور باستمرار، والتي لا تعرفينها إلا عن طريق السينما، أو الروايات، وكما يحدث في أفلام السينما ينقذ الشرطي الفتاة من أيدي المجرمين.

انحنى على المائدة وقال باهتمام:

- أرجو ألا تسيئي فهم ما أقول، فمن الطبيعى أن تعتبري أن الشرطي الذي أنقذك بطلاً، وأن تتخيلي أن عليك الزواج من هذا النوع من الرجال. ومن الطبيعي أن تكوني قد أعطيت هذا الرجل قلبك، أو جزء منه على الأقل، لذلك أريد أن أقول لك رأياً أعتقد أنه سيفيدك.

كانت عيناه لا تتحولان عن عيني، لكنهما كانتا مضطربتين إلى حد ما، أدركت أني سأستمع إلى كلام خارج من القلب، وتوقفت عن التفكير في رحيلي، وأصغيت له

بانتباه حيث قال:

- إن هذه الحرب السرية، معركة الجريمة، سواء كانت بين رجال الشرطة والمجرمين، أو بين الجواسيس ومكافحي الجواسيس، هي معركة بين جيشين مدربين، أحدهما في صف القانون أو في الجانب الذي تعتبره بلاده مع القانون، والآخر يعتبر عدواً لهذه المبادئ. ولكن في أرفع الرتب في هذين الجيشين، وبين أشد المحترفين براعة، هناك شيء رهيب يشترك فيه جميع الذين يخوضون هذه المعركة، سواء أصدقاء أو أعداء وهو:

إن زعماء العصابات، ومديري مكتب الأبحاث الاتحادي، ودوائر التجسس، لهم قلوب ودماء باردة! إنهم لا يعرفون الرحمة، إنهم قساة، وقتلة. ومن واجبهم أن يكونوا هكذا، وإلا ما استطاعوا البقاء، هل تفهمين؟

هذا ما أريد أن أقوله يا عزيزتي. لقد تكلمت مع واشنطون، واطلعت على مهام بوند الرائعة، ابتعدي عن هذا النوع من الرجال. إنهم لا يصلحون لك، سواء أكانت أسماؤهم جيمس بوند أو سلاجسي مورانت!

إن هذين الرجلين وأمثالهما ينتميان إلى الغابة التي وجدت نفسك في قلبها منذ ساعات، لكنك نجوت منها. لذلك لا تستسلمي للأحلام الجميلة عن أحدهما، ولا للأحلام المفزعة عن الآخر. هؤلاء الرجال مختلفون عنك، وعن أمثالك. مثل الصقر والحمامة. هل تفهمين؟

لم أتمكن من التظاهر بأنني أفهم ما يقول، لذلك قطع كلامه وقال:

- حسناً، لنرحل الآن.

نهض ستونور وتبعته، لم أكن أعرف ما أقول، وتذكرت أول شعور أصابني عندما رأيت جيمس بوند على باب النزل:

«يا إلهي! إنه رجل عصابات مثلهما»!

لكني تذكرت أيضاً ابتسامته، وقبلاته، بينما ذراعيه تحيط بي. مشيت إلى جوار

هذا الشرطي القوي، الذي جاء لي بنية طيبة. لم أكن أفكر إلا في شيء واحد: غداءً لذيذاً!

ونوماً طويلاً، على بُعد مائة وخمسين كيلومتر على الأقل من هذا المكان.

عندما رحلت، كان الوقت ظهراً، وقد أخبرني ستونور أن الصحفيين سيضايقونني، لكنه سيحاول إبعادهم عني لأطول فترة ممكنة.

ثم أوضح لي أن في استطاعتي أن أخبرهم بكل شيء عن جيمس بوند ما عدا مهنته، وكيف يمكن الاتصال به. على أن أقول إنه رجل تصادف أن جاء في الوقت المناسب، ثم تابع طريقه.

بعد أن حزمت حقائبي، ربطها لي الملازم مورو على دراجتي البخارية، التي جاء بها إلى الطريق.

شكرت النقيب ستونور وودعته. ثم وضعت خوذتي ونظارتي المحاطتين بالفرو، ثم ركبت دراجتي، وأدرت المحرك.

سوف أريهم الآن!

كانت العجلة الخلفية ما زالت على مسندها، أدرت المحرك بقوة، ثم اندفعت بالدراجة فجأة إلى الأمام، فأثارت العجلة الخلفية عند اصطدامها بالأرض عاصفة من التراب والحصى، بينما اندفعت كالصاروخ!

بعد عشر ثوان كانت سرعتي قد بلغت ستين كيلومتراً في الساعة. كان الطريق مستقيماً أمامي، فألقيت نظرة إلى الخلف، ولوحت بيدي مودعة. رد رجال الشرطة المتجمعين أمام مبنى الاستقبال تحيتي. ثم ما لبثت أن ابتعدت مسافة كبيرة على الطريق.

لقد حدثني نقيب الشرطة عن آثار ساعات الرعب التي مرت بي. لكن هذه الآثار شفاها ومسحها هذا الرجل الغريب، الذي ينام وهو يضع مسدسه تحت وسادته، هذا العميل السري الذي يحمل رقماً تعريفياً.

عميل سري؟

ماذا يهمني ما يفعله؟

إنه يحمل رقماً نسيته! كنت أعرف تماماً من هو.

Telegram:@mbooks90

وسيظل كل شيء - بأدق تفاصيله - محفوراً في قلبي.. إلى الأبد.

(تمت)